قصص واقعية

من عجائب الدعاء

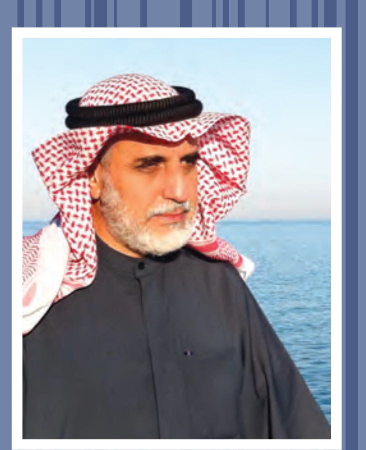
مسلم عبدالعزيز الزامل

دار البلالي للنشر والتوزيع

دار اقرأ للنشر والتوزيع

قصص واقعية .. من عجائب الدعاء

مسلم الزامل



مسلم عبدالعزيز الزامل

- حاصل على بكالوريوس إدارة أعمال.
- نائب رئيس تحرير وكالة الأنباء الكويتية ٢٠٠٧ م.
- مستشار إعلامي في الهيئة العامة للصناعة ٢٠٠٩ م.
- مدير عام جمعية بشائر الخير.
- رئيس تحرير مجلة البشائر.
- مؤلف وله (٣) إصدارات مقروءة.

الدعاء عبادة الأتقياء الأنقياء ممن يسارعون في الخيرات ويدعون ربهم رغباً ورهباً آناء الليل وأطراف النهار.. وهو حبل النجاة لكل مكروب وملهوف ومستغيث..

ولا غروَ، فالعبد محتاج إلى الله في كل شؤونه، ومفتقر إليه في جميع أحواله، ولا يستغني عنه طرفة عين أو أقل من ذلك، أما الرب جل وعلا فهو الغني الحميدُ.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ❖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد ❖ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ فاطر: ١٥ – ١٧" فهو سبحانه غنيٌ عن الجاحدين، حميدٌ للشاكرين... يحب المخبتينَ الأوابين، ويباهي بهم الملائكة فرحا بتوبتهم واستغفارهم، وهذا من كمال عدله وفضله وإحسانه إليهم.

ومن يتفحص نفائس الكتاب وكنوز السنة يجدهما زاخرين بمعجزات الدعاء التي تخرق نواميس الكون بلطف أو بعنف كرامة للأولياء والأصفياء وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء ممن تناوبت عليهم الخطوب والهموم ومدلهمات الفتن..

وتجلت عظمة الدعاء في مواضع شتى، كما في قصة إبراهيم عليه السلام حين تحولت النار إلى أنوار بردا وسلاما عليه، وغدت ألسنة اللهب أشعة مضيئة، وأشرقت الأرض بأمر ربها.

وهي منح إلهية، وعطايا ربانية لكل المؤمنين وليست حكرا على المرسلين فلا يحجبها زمان ولا يحدها مكان.

وقد تضافرت على بعض الأصحاب والأحباب من المشايخ والدعاة في يومنا المعاصر قصص واقعية وحوادث شخصية مع الدعاء هي أغرب من الخيال، وقد وقفت على بعضها فوجدت فيها عجبا من الآيات في تفريج الكربات.

نقدم هذه النماذج تسلية للنفوس المتعبة من شقاء الدنيا، وترطيبا للقلوب المثقلة من وعثاء الطريق.

الناشر



قصص واقعية



مسلم عبد العزيز الزامل





قصص واقعية
من عجائب الدعاء

تأليف: مسلم عبدالعزيز الزامل

المدير العام : عبدالحميد جاسم البلالي

تصميم وإخراج : أسامة الفارس

الناشر



دار البلالي للنشر والتوزيع



دار اقــــرأ للنشر والتوزيع

الكويت : حولي - شارع المثنى - ص . ب ١٩٣٧ حولي - الرمز البريدي : 32020

هاتف : ٢٢٦٥٥٣٤٠ - ٢٢٦٥٥٣٥٠ - فاكس : ٢٢٦٥٥٣٥٠ - نقال : ٩٧٥٧٩٢٧١

القاهرة : مدينة نصر - أمام أرض المعارض الدولية - عمارات امتداد رمسيس (٢)

عمارة (١٦٨) شقة (٢)

تليفون : ٢٢٦٢٠٥٦٣ ٢٠٢++ - فاكس : ٢٢٦١٨٧١٠ ٢٠٢++ - محمول : ٢٠١٠١٥٣٢٧٦٧++

email:dariqraa@hotmail.com - website:www.dariqraa.com

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع : 2013/

ردمك : ISBN: 978-99906-89-




إهداء إلى


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الرحيم بخلقه.. الحبيب لعباده.. القريب لأوليائه.. المدعو عند النوازل.. المرجو عند الشدائد الذي لا تدركه الأبصار ولا تخفي عليه الأسرار، وهو السميع العليم، نحمده ونستغفره ونستهديه ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ،ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه..

وبعد:

فالدعاء عبادة الأتقياء الأنقياء ممن يسارعون في الخيرات ويدعون ربهم رغباً ورهباً آناء الليل وأطراف النهار.. وهو حبل النجاة لكل مكروب وملهوف ومستغيث..

ولا غروَ، فالعبد محتاج إلى الله في كل شؤونه، ومفتقر إليه في جميع أحواله، ولا يستغني عنه طرفة عين أو أقل من ذلك، أما الرب جل وعلا فهو الغني الحميدُ.



قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ❖ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ❖ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ فاطر: ١٥ - ١٧ فهو سبحانه غنيٌّ عن الجاحدين، حميدٌ للشاكرين... يحب المخبتين الأوابين، ويباهي بهم الملائكة فرحا بتوبتهم واستغفارهم، وهذا من كمال عدله وفضله وإحسانه إليهم.

ومن يتفحص نفائس الكتاب وكنوز السنة يجدهما زاخرين بمعجزات الدعاء التي تخرق نواميس الكون

بلطف أو بعنف كرامة للأولياء والأصفياء وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء ممن تناوبت عليهم الخطوب والهموم ومدلهمات الفتن..

وتجلت عظمة الدعاء في مواضع شتى، كما في قصة إبراهيم عليه السلام حين تحولت النار إلى أنوار بردا وسلاما عليه، وغدت ألسنة اللهب أشعة مضيئة، وأشرقت الأرض بأمر ربها.

وهي منح إلهية، وعطايا ربانية لكل المؤمنين وليست حكرا على المرسلين فلا يحجبها زمان ولا يحدها مكان.

وقد تضافرت على بعض الأصحاب والأحباب من المشايخ والدعاة في يومنا المعاصر قصص واقعية وحوادث شخصية مع الدعاء هي أغرب من الخيال، وقد وقفت على بعضها فوجدت فيها عجبا من الآيات في تفريج الكربات، ورأيت أن أجمعها بين دفتي هذا الكتاب علها تكون نبراسا لكل قلب مكلوم أو مظلوم أو مهموم ممن استحكمت بهم السبل وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه... ليعلم هؤلاء أنهم لوصدقوا في المناجاة واتصلوا برب الأرض والسماء لأجابهم قبل أن يرتد إليهم طرفهم.. لأن وعد الله حق لا مراء فيه، وهو القائل وقوله حق:

قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

ويأتي نشر هذه المواقف رغم تحرّج البعض امتثالا لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضحى : ١١

وها نحن نحدث بنعمة الله في إجابة الدعاء تصريحا في الأسماء وتلميحا لتحقيق التوازن بين الإظهار والإخفاء لقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (البقرة ٢٧١)

نقدم هذه النماذج تسلية للنفوس المتعبة من شقاء الدنيا، وترطيبا للقلوب المثقلة من وعثاء الطريق، وهو اجتهاد المقل، فما كان صوابا فمن الله وما كان خطأ أو نسيانا، فمني ومن الشيطان .

والله نسأل أن تكون هذه القصص منار خير ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

مسلم عبدالعزيز الزامل

الكويت - يونيو - ٢٠٠٧م



الفصل الأول

1

قصص واقعية من عجائب الدعاء

ابني والأسد... وجهاً لوجه



حدثنا الدكتور الفاضل
عبدالرحمن السميط فقال:



من المواقف التي رأيت فيها عجائب الدعاء ولطف المولى جل وعلا تلك الرحلة التي كلما تذكرتها شعرت بقشعريرة ورجفة وتضرعت بقلبي ولساني حمداً لله وشكراً على فضله وكرمه في إنقاذ طفلي من أنياب الوحش الكاسر الذي لا يعرف الرحمة ما دام يبحث عن طعام..

كان أبنائي يصرون دوماً

على مرافقتي في جولاتي الدعوية في القرن الأفريقي رغم ما تكتنفه من مشقة ومخاطر، اعتدت عليها سنوات طوال، لكني أشفقت على الأولاد من إقحامهم في مثل هذه الرحلات التي لا تخلو من المغامرات، إلا إنني وتحت ضغط إلحاحهم ولغرس ثمار العمل الدعوي في نفوسهم عزمت على اصطحابهم وتوجهت بهم إلى أحد أدغال أفريقيا المشهورة بالمحميات الطبيعية... وفي أحد الأيام بينما كنا متوجهين لزيارة إحدى القبائل الأفريقية، توقفت السيارة التي كانت تقلني وأسرتي وسط الطريق... ونزل ابني الصغير ذو العشر سنوات، ودخل في حاجز من الأسلاك المهترأة والذي يحيط بمحمية مليئة بالحيوانات المفترسة...

وفجأة توقف ابني ..

ليرى أسداً أمامه وجهاً لوجه لا يفصله عنه سوى سنتيمترات معدودة.. وتسمر الطفل في مكانه دون حراك وسط حالة من الذهول والدهشة لهول الصدمة... وفي لحظة لا شعورية وبعاطفة الأبوة تذكرت قوله تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله﴾؟... لا إله إلا الله، ولا رب سواه...

فتضرعت إلى ربي في تلك اللحظة أن ينقذ ابني من الأسد الرابض أمامه، وأن يخلصه من هذه الورطة...

ثم وفي لحظة اضطرار (بعد أن دعوت ربي)...

دخلت إلى عرين ذلك الوحش وأمسكت ابني المذعور من يده وخرجنا بهدوء شيئاً فشيئاً حتى ابتعدنا عن الأسد بحول الله وقوته وحفظه ورعايته وعنايته، وعدنا سالمين دون أن يمسنا بسوء أو أذى... وكأنما حاجزاً ربانياً حال بيننا وبينه... ومنذ تلك اللحظة ازداد يقيني بربي جل وعلا وأنه يجيب المضطر إذا دعاه وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، وهو القائل: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ وكانت تلك الحادثة عجيبة من عجائب الدعاء التي حدثت معي...».



انتهى كلام الدكتور عبدالرحمن السميط، ويبقى السؤال:

من الذي أنزل السكينة في قلب الولد...

والشجاعة في قلب الوالد...

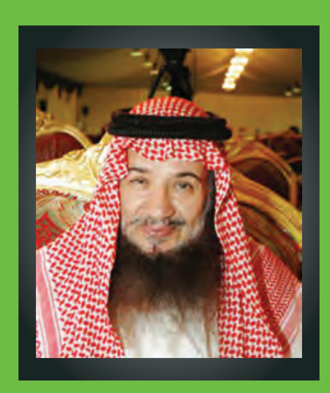
والرحمة في قلب الأسد؟!

فلم يفتك بالطفل وأبيه ولم تتحرك بداخله غريزة الافتراس؟... إنه ملك الملوك.. ومن أمره بين الكاف والنون.


قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾
(غافر ٦٠)



وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو



حدثنا الشيخ أحمد القطان الداعية الجليل فقال:

كنت أقود سيارتي في الطريق السريع، ومعي زوجتي وابني الصغير عبدالله الذي كاني يلهو ويعبث أثناء الطريق، وفجأة سمعنا صوتاً غريباً إلا أننا لم نعبأ به... فلما وصلنا إلى البيت وقد أسدل الليل ستاره، اكتشفنا أن ابننا الصغير ألقى مفتاح البيت من نافذة السيارة إلى الشارع وليس عندنا مفتاح غيره.. فوقفنا عند الباب ونحن في حيرة من أمرنا... ماذا نفعل؟ كيف ندخل البيت؟... وفي هذه الأثناء انطلق أذان العشاء من المسجد القريب من دارنا.. فتذكرت أن هذا من أوقات إجابة الدعاء فقلت: «اللهم أسألك أن تخلفنا مفتاحاً غيره يؤوينا في بيتنا هذه الليلة»...

فتعجبت زوجتي أم عبدالله من هذا الدعاء ..

وتساءلت: كيف يحدث هذا يا شيخ أحمد؟ فقد ضاع منا مفتاحنا الوحيد وقد قلت لك منذ زمن طويل إئتنا بمفتاح غيره «اسبير»... ماذا نصنع الآن؟ وأين سننام الليلة؟ فقلت لها: «إنني سألت من بيده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ومن أسمائه الحسنى: (الفتاح)، و(العليم) وقد جمع بينهما سبحانه وتعالى، فهو يعلم مكان المفتاح كما، قال تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام: ٥٩ ، وهو قادر على فتح باب البيت.



فلا تنشغلي بهذا الأمر الصغير وتعالي نستجيب لنداء الله ونصلي في المسجد مع الجماعة، وبعد الصلاة سيأتي الفرج...

يواصل الشيخ أحمد القطان روايته فيقول:

وبينما كنت أصلي تحية المسجد، وقع بصري على كرسي المصحف فإذا بي أرى مفتاحاً يشبه مفتاح بيتي تماماً، وقد شهدته منذ عام تقريباً في نفس المكان وليس له صاحب، فخطر في بالي أن أجربه، فلما قُضيت الصلاة أخذته، وكانت المفاجأة العجيبة!..



ذهبنا إلى البيت وقلت: «بسم اللّٰه الفتاح العليم» وإذا به يفتح الباب، وتبين أنه يحمل نفس رقم مفتاح بيتنا، فقلت لأم عبداللّٰه: (أرأيت عظمة توحيد الأسماء والصفات؟ أن اللّٰه لم يعلمنا أن له تسعة وتسعين اسماً من أسمائه عبثاً، وإنما لندعوه بها...)

ومنذ تلك الحادثة التي مضت عليها سنوات طوال ونحن نسأل الّله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وهو جل جلاله يستجيب لنا، فكانت هذه الحادثة فتحاً من اللّه لنا، ولئن فتح باب البيت فقد فتح ما هو أعظم منه ألا وهو الدعاء المستجاب الذي يقول عنه عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه:

«إنني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء ضمنت الإجابة».



لقد أُلهمنا الدعاء عند أذان العشاء، فكانت ساعة إجابة)،

انتهى كلام الشيخ حفظه اللّه.

وفي هذه القصة عبرة لأولي الألباب، ودرساً لمن تعلق بالأسباب المادية ونسى مسبِّبُ الأسباب وربُّ الأديان، ولو أنه آمن بالدعاء وأيقن به لفتح اللّه عليه خزائن السموات والأرض، وإلا: فكيف بقى هذا المفتاح في المسجد سنة كاملة لم يأخذه أحد؟ وكيف حمل نفس رقم مفتاح بيت الشيخ؟ بل ما الذي حدا بالزوجين إلى أن يذهبا إلى هذا المسجد بالذات دون غيره؟ وأن يصلي الشيخ أحمد بجوار المفتاح وليس بالناحية الأخرى؟ أو تظن أن كل هذا حدث صدفة؟! حاشا للّه..





عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ،

فأكثروا الدعاء »

مسلم

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد

حادثة أخرى أتحفنا بها الخطيب المفوَّه الشيخ أحمد القطان لا تقل غرابة عن الأولى، ووقعت أحداثها عام ١٩٨٥م، يقول الشيخ حفظه الله ورعاه:

في هذا العام توجهت مع لفيف من الأصدقاء إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج، ولما وصلنا «منى» ووضعنا أمتعتنا في المخيم، كان علينا أن نستعد لاستقبال عدداً من الشباب (نحو ٣٥٠ شاباً) قدموا من الكويت عن طريق البر بواسطة السيارات والباصات.

فسألت الله في نفسي أن يلهمني اللحظة التي سيصلون فيها إلى «منى» لأكسب أجر دلالتهم إلى المخيم، ووقع في قلبي أن الحملة ستأتي في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فأخبرت بذلك إدارة الحملة.

وقلت لها: «لا يعلم الغيب إلا الله»

لكني سألت ربي فألقى في روعي أنهم سيأتون في هذا الوقت بالذات، ثم قلت: من يريد أن يصحبني الليلة لاستقبالهم في شوارع منى؟ فقال لي أحدهم وهو خالد عبداللطيف: أنا يا شيخ! وفعلاً لما حان الموعد، أيقظني الله في الساعة الثانية إلا ربعاً بعد منتصف الليل، فتوضأت ثم أيقظت صاحبي، وخرجنا في الليل نجوب طرقات منى المتشعبة والمزدحمة بآلاف البشر.



وقلت لخالد: تعال بنا نقرأ أواخر سورة «المؤمنون» فقد قال عليه الصلاة والسلام لعبدالله بن جحش رضي الله عنه لما أرسله في سرية إلى وادي نخلة:

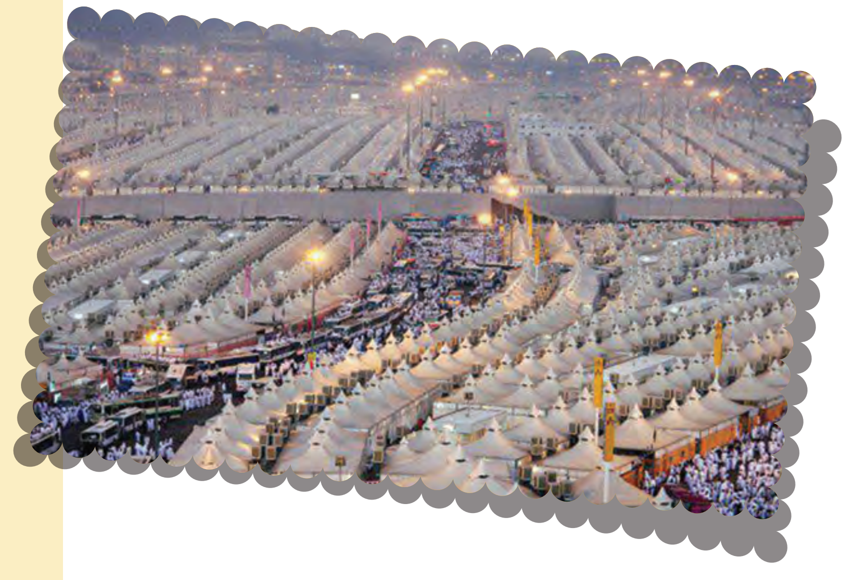
«إذا أردت أن تسلم وتغنم فالزم آخر المؤمنون» وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٨

وقلت لصاحبي: تعال نقرأ آخر هذه السورة لنسلم ونغنم عسى اللّٰه أن يهدينا إليهم، ويهديهم إلينا..

وأوصيته باليقين في الدعاء لما وَرَدَ بالحديث الشريف: « ادعوا اللّه وأنتم موقنون بالإجابة...».

وما أن فرغنا من قراءة آخر المؤمنون حتى قابلتنا طلائع سيارات الحملة وعددها ١٧ سيارة وباصان وجهاً لوجه في أحد الطرقات، فكانت فرحتهم لا توصف حين رأونا ونزلوا من سياراتهم يسلمون علينا ويقولون:

«كم كانت فرحتنا عظيمة برؤيتكم ولقياكم، فنحن تائهون منذ ساعة في (منى) وقلنا: هذا آخر شارع ندخله، فإن لم نجد المخيم عدنا إلى (مكة) ونمنا فيها، ثم نبحث عنكم في الغد.



يقول الشيخ أحمد: (عندها، أخبرتهم بقصة الدعاء المستجاب، وأثر قراءة أواخر سورة «المؤمنون» فتحفظها الشباب، وصارت عندهم من لوازم الدعاء..

تأملت في حديث الشيخ وروايته العجيبة وتساءلت في نفسي: سبحان الله! من الذي ألهم الشيخ أحمد أن الشباب سيصلون إلى (منى) في هذا الوقت من الليل؟ ومن هذا الطريق بالذات؟...كيف اجتمع الشيخ والشباب في مكان وزمان واحد؟... فهم يبحثون عن بعضهم وسط أمواج هادرة من البشر أثناء موسم الحج وفي مكان متشعب المداخل والمخارج...!! إنها قدرة البارئ جل وعلا، الذي وصف علمه أعرابي وصفاً بليغاً كما في حديث الطبراني في الأوسط، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله | مرَّ بأعرابي وهو يدعو في صلاته ويقول: «يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيّره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه).

فأثنى عليه المصطفى عليه السلام وأهداه ذهباً. (بتصرف).



التنقيب عن المفتاح وسط الرمال

وهذه حادثة أخرى لا تقل روعة وعبرة وتزيدك أملاً برحمة الله، يقول الشيخ أحمد القطان:

في عام ١٩٧٤م كنت بصحبة عدد من الأخوة في طريقنا إلى مركز الحدود وقد عزمنا على أداء فريضة الحج، ولما وصلنا إلى المركز وقع من صاحبنا مفتاح السيارة وضاع في الرمال، ولم تكن معه ميدالية وليس عندنا غيره، وعبثاً حاول الأخوة البحث عنه دون جدوى، فهو كإبرة وقعت بمحيط من الماء، وكان الناس من حولنا بالمئات يتحركون ذهاباً وإياباً وهم يودعون أهاليهم وأقاربهم.

فاختفى المفتاح ولم يعد له أثر، وحار الأصدقاء في هذه الورطة التي لم يحسب لها حساب.

فقلت لهم: «مهما بحثتم بحولكم وقوتكم لن تجدوا مفتاح السيارة في هذا الرمل الذي تدوسه الأقدام، فتعالوا نستعين بمن يعلم الخبء في السماوات والأرض وتحت التراب» فقالوا: بماذا ندعو؟ قلت لهم: بدعائين: الأول من القرآن وهو أواخر سورة المؤمنون. كما بينا فضلها فيما سبق

والثاني من السنة النبوية المطهرة، وهو دعاء المصطفى ﷺ: «اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيننا وبين ضالتنا»...

وكان معنا أحد الأخوة وهو ضعيف البصر وزجاج نظارته الطبية عريض» لا يكاد يرى ما حوله، فما إنْ فرغنا من الدعاء حتى توقف فجأة عن الحركة وقال لمن حوله: «إنني أرى بريق المفتاح ينعكس على زجاج نظارتي، لكنني لا أدري أين هو!.. فابحثوا عنه حول قدمي...».

وهبَّ الجميع لتفتيش المكان من حوله وقد غلبتهم الدهشة... وكانت المفاجأة السارة لنا جميعاً، فقد انعكس شعاع الشمس على طرف المفتاح وهو الجزء الصغير الذي ظهر من تحت الرمال، وارتد الإشعاع على نظارة صاحبنا، فمددنا يدنا بهدوء لنمسح الأرض، ووجدنا المفتاح تحت الرمال... فكبّرنا، وأحسسنا بقرب الله منا ومن كل عبد يتضرع ويجأر إليه ويلح في الدعاء..

وصدق المولى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠

الدعاء ينقذ الكويت من صواريخ صدام



وهـذه روايـة رابعة يحكيها لنا الشيخ أحـمـد القـطـان تجـسـد عـظـمـة الـدعـاء فـي أبهى الحلل، يقول الشيخ الوقور:





لما شنت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حرباً على نظام بغداد هدّد طاغوت العراق دولة الكويت بضربها بالكيماوي والبيولوجي، تذكرنا ساعتها حديث ليلة الإسراء والمعراج عندما طارد الرسول شيطان مارد بيده شعلة من نار، فعلَّمه جبريل ـ عليه السلام ـ دعاء.

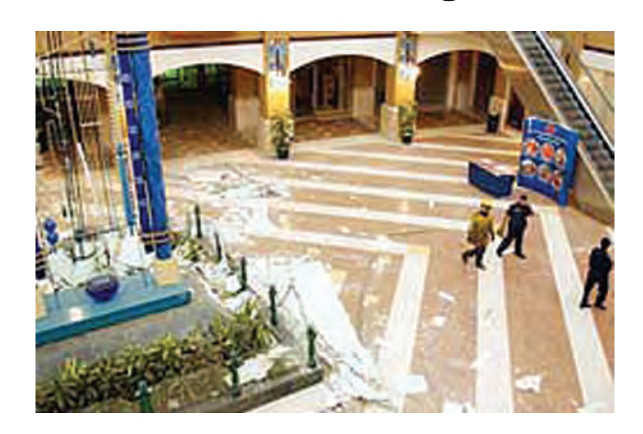
فلما قرأه انطفأت شعلته وانكفأ على وجهه.

والدعاء هو: «أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما يلج في الأرض ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر مايخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن».



وقد كنت دائماً وأبداً أدعو في دروسي ومحاضراتي بهذا الحديث وأطلب من الناس أن يدعو بهذا الدعاء ووعدتهم بأننا سنرى أثره.

مهما ضرب هذا الطاغوت بصواريخه فإن الله قادر على أن يحمينا منها كما حمى رسوله ﷺ من ذلك الشيطان ليلة المعراج.



وأخذنا ندعو طوال فترة التهديد والقصف الصاروخي على الكويت،

ورأينا العجب من أثر هذا الدعاء فقد وقعت كل الصواريخ في أماكن نائية في الصحراء باستثناء واحد نزل على الواجهة البحرية قرب سوق «شرق» والحمد لله لم يصب أحد، بل كان فضيحة إذ تبعثر الصاروخ فأصاب طرفاً من السوق... واكتشف رجال الأمن بعد ذلك أن رأس الصاروخ استقر فوق سطح السوق دون أن ينفجر رغم قوة ارتطامه بالمبنى!!



يضيف الشيخ قائلاً: وهكذا رأينا الدعاء يتصدى لكل ما ينزل من السماء منْ حمم وقاذفات وجراثيم وميكروبات عندما يلوذ المسلم بربه ويلجأ إليه ليدفع عنه ما ينزل وما يعرج إليه من صواريخ وشياطين وما تبثه الأقمار الصناعية من سموم مدمرة للأخلاق وغزو فكري وثقافي يشل العقول..

فمن يحمي بيوتنا وأطفالنا من كل هذا؟!... ومن يقينا من الصواريخ القادمة من السماء والألغام القابعة تحت الأرض والتي دسها الغزاة في صحراءنا وبين بيوتنا وأسواقنا وعلى سواحلنا بأعداد هائلة...؟

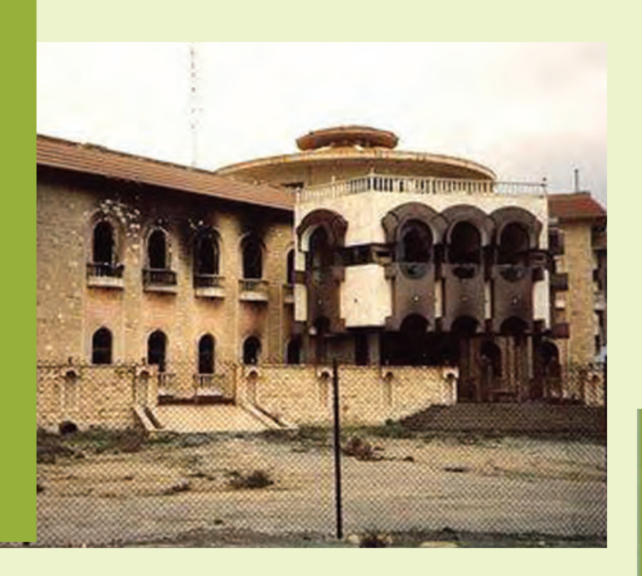
وقد رأينا بركة الدعاء تظلنا كالغمامة حتى تبددت غيوم البلاء والوباء..

فالقضاء نازل والدعاء صاعد، وهما يعتركان ما بين السماء والأرض فينزل اللطف من الله ويحمي سبحانه عباده، كما ورد في حديث ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «لا يردُّ القدر إلا الدعاءُ» رواه الإمام أحمد وابن ماجه.

وجعل على بصره غشاوة

الصديق العزيز عصام الرفاعي يروي لنا هذه الحكاية العجيبة:

إبان احتلال النظام العراقي لدولة الكويت، أكرمنا ربنا جل وعلا بمعجزات طوال فترة الغزو وذقنا حلاوة الدعاء بنعمة الجلاء.. جلاء نصف مليون جندي عراقي في ساعة من ليل رغم تقديرات قوات التحالف بأن تحرير الكويت قد يستغرق ثلاث سنوات تأكل الأخضر واليابس في حرب استنزاف طويلة الأمد. إلا أن العناية الإلهية صاحبتنا في سبعة شهور عجاف حتى بزغ فجر التحرير يوم الاثنين ٢٦/٢/١٩٩١م.



تذكرنا حينا دعاء نوح عليه السلام: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ فردَّ اللّٰه البغاة بغيضهم لم ينالوا خيراً وكفى اللّٰه المؤمنين شر القتال... تذكرنا قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر﴾ القمر: ٤٥ ..



يقول صديقي عصام الرفاعي: «كنت وصاحبي أحمد قد انتهينا لتونا من مهمة إنسانية في ساعة متأخرة من الليل.

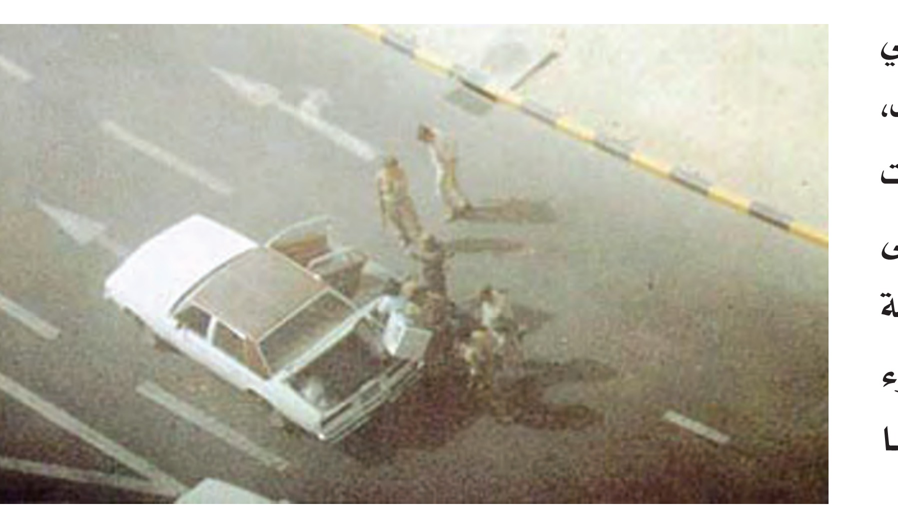
وهُزِمَ الجمع وتحول لسرابٍ بقيعة، وتنفسنا يومها الصعداء بعدٍ تبدد الظلام وانبلاج النور.. كان الدعاء ملاذنا وتحولت سطوح المنازل لمآذن تردد أصداء التكبير فتزلزل قلوب الجبابرة. رأينا اللطف الرباني في كل لحظة، ومع كل دعاء نابع من القلب.

واعتاد أحمد ـ وهو من أفراد المقاومة الكويتية ـ على إصدار البطاقات والهويات للمواطنين الذين تتطلب ظروف عملهم تغيير أسمائهم وإخفاء شخصياتهم بسبب الأوضاع الأمنية آنذاك.

وبينما نحن في طريق عودتنا إلى البيت إذ صادفتنا نقطة تفتيش في مكان ناء قرب البحر...

فأمرنا الضابط العراقي بالترجل من السيارة، وبدأ الجندي بتفتيش السيارة تفتيشاً دقيقاً، وفتح صندوق السيارة وفرغه من محتوياته فلم يعثر على شيء، ثم بدأ بتفتيش السيارة من الداخل حتى وضع يده على درج بلاستيكي صغير مخصص للقمامة، هنا تصبب جبين صاحبي بالعرق وعلمت أنه قدوضع تحته شيئاً ما...

فقد تغيَّر وجه صاحبي واضطرب من شدة الخوف، غير أن عناية المولى ربطت على قلبينا كما ربطت على فؤاد أم موسى في لحظة حرجة، فالتزمنا الهدوء واتجهت أرواحنا إلى بارئها تسأله العون والفرج.



وقلت في نفسي: «اللهم نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم»

خاصة وأن صاحبي نسي أن ينقل البطاقات المزورة والاختام من تحت الدرج الهزيل، وأمسك الجندي بالدرج وهزه عدة مرات، إلا أن ورقة واحدة لم تتحرك، بل أنه رفع الدرج ولم يلمح الأوراق تحته فقد أصابته غشاوة أعمت بصره... وخرج من السيارة بهدوء، فتذكرت لحظتها قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا».

عندها استشعرت المعيّة الإلهية ورددت قول المصطفى: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)؟ وقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء: ٦٢

وانطلقنا بسيارتنا وكل منا ينظر للآخر باستغراب شديد: كيف حدث هذا؟ ماذا لو عثر على الأوراق والبطاقات المزوَّرة؟ لقد كانت التهم توزع جزافاً لإلقاء القبض على من يريدون فكيف والدليل على مقاومة الاحتلال بين أيديهم؟...

لقد كانت تجربة شديدة الوقع إلا أن قوة الجبار تدخلت لتنقذنا من مصير مجهول... ولولا نعمة ربي لكنت وصاحبي في عداد المفقودين أو المعدومين. وصدق العلي القدير: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ ، فكان بحق نعم المعين!

اتقوا دعوة المظلوم

جلست يوماً في إحدى الديوانيات أتحدث عن الظلم وعاقبة الظالمين، وأشرح الحديث المتفق عليه: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وقلت: إن دعوة المظلوم مقبولة عند الله ولو كان كافراً فاجراً، كما في حديث أنس رضي الله عنه «الحسن»: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب»، وقلت: إذا كانت دعوة المظلوم تقبل ولو كان كافراً... فكيف إن كان مسلماً؟ وكيف ينام الظالم قرير العين والمظلوم يقلب عليه الليل والنهار بالدعاء ويستحضر العزيز ذو الانتقام؟!، واستشهدت بقول الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وأخطر من هذا ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين» (متفق عليه).

فيعاقب بالخسف إلى سبع أرضين وقيل: كلفه الله أن ينقل ما ظلمه منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه.

وما إن انتهيت من الدرس حتى بادرني صاحب الديوانية «أبو أنس» على انفراد وقال لي:



«جزاك الله خيراً على هذا الدرس، ولو أخبرتك بما وقع لي ولأخي طلال لظننت أن قصتي ضرباً من الخيال».

أصغيت له باهتمام وقلت: «هات ما عندك!».

فقال: «قبل عامين اتفقت وأخي طلال مع مقاول يدعى «سليم» على بناء فيلتين لي ولأخي، وقد شرع المقاول في عملية البناء.



وفي أحد الأيام طلب المقاول من حارس البيت واسمه «إقبال» أن ينقل له كمية من البلاط إلى السطح مقابل أجرة قدرها خمسون ديناراً

فقام الأخير بإنجاز المهمة على أكمل وجه ثم جاءه يطلب الثمن المتفق عليه، فأنكر المقاول الاتفاق وقال: «إن هذا جزء من عملك هنا ولا شيء لك عندي فاغرب عن وجهي..».

ذهل الحارس «إقبال» من ردّ سليم ..

ومن موقفه المفاجئ وتغير معاملته وعبثاً حاول اقناعه بالوفاء بالوعد والعهد، إلا أن المقاول أبي وطغى... فجاءني الحارس المسكين شاكياً صاحبنا المقاول عندها حاولت التدخل لأنصف «إقبال» وأرد إليه حقه ونصحت المقاول «سليم» بأن يفي بوعده ويؤدي الحق الذي عليه، فامتعض من كلامي ولامني لانحيازي إلى جانب الحارس...



فمضيت إلى أخي «طلال» الذي بقيت لديه دفعات نقدية لصالح المقاول، عله أن يستغل الموقف للضغط على سليم لأداء ما عليه... وما أن شرحت الموضوع لشقيقي حتى قال بصفاقة عجيبة: «مالك وللحارس؟ دعه وشأنه، فهو لا يستحق كل هذه الضجة...».

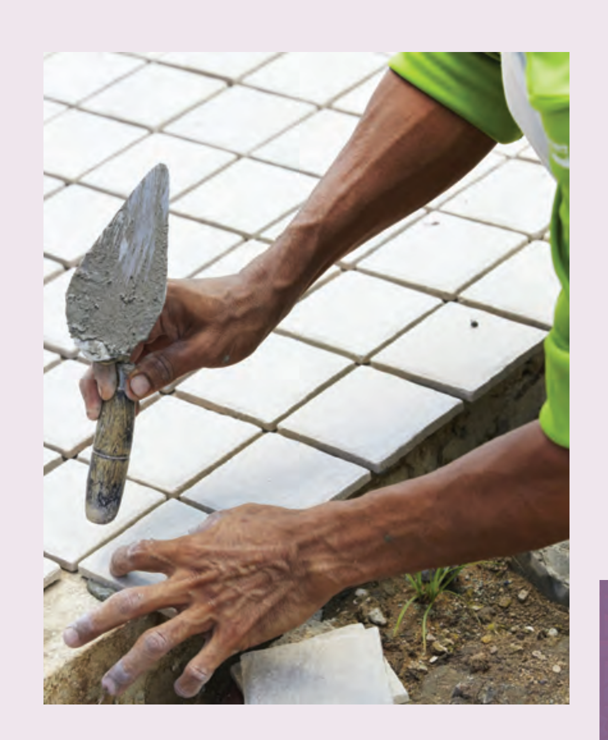
وقبل أن أعلق على كلامه، قاطعني بحدة: «وفرّ نصائحك لأني مشغول الآن... لو سمحت»...

كان همُّ أخي إكمال العمل في ورشته، ولم يرغب في إثارة غضب وحنق المقاول ....



وحين رأى المقاول سليم حماسي في الدفاع عن الحارس «إقبال» ثارت حفيظته، وقرر الانتقام مني، فقام بتركيب البلاط في سطح بيتي دون الفواصل التي تسمح بالتمدد والانكماش، ولم اكتشف هذا الكيد إلا بعد فوات الأوان... وبعد مرور عدة أشهر حين بدأ البلاط يتكسر بفعل الحرارة وتحول السطح إلى كومة أنقاض مما ألحق بي خسارة تجاوزت الـ ٥٠٠ دينار في وقت استنفدت فيه كل أموالي المخصصة للبناء... فشعرت بالظلم والقهر لدناءة المقاول وخسته في التعامل، وتملكني غضب عارم، فرفعت يدي إلى السماء أشكو بثي وحزني إلى الله، ولا أدري كيف انتابني إحساس ورغبة بأن يعاقب المقاول عقاباً أليماً فدعوت الله في الثلث الأخير من الليل أن يصيبه بشلل نصفي من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه وأن أراه على هذا الحال ليشفي غليلي...

ومـرت الأيــام ثقيلة بالهموم والديون حتى دخلت بيتي يوماً في ساعة متأخرة من الليل، وإذا بطارق يطرق الباب، فاستغربت من توقيت هـذا الـزائـر، ومـا أن فتحت الباب حتى رأيت عجباً...!



فقد رأيت رجلاً مهشماً محطماً يستند إلى الجدار بصعوبة بالغة وقد احتضن أوراقاً وملفات...

حدقت في الرجل وأنـا لا أصـدق مـا أرى... أنه المقاول سليم الـذي لـم يعد سليماً بل تحول لشبح عاجز عن الحركة... كان ينظر إلي بحرقة ولـم أسمع من كلامه سوى النحيب والبكاء... فقد أصابته دعوتي في الصميم وأحالت جسده إلى جثة شبه محنطة بعد أن شل نصفه تقريباً.

قال بدون مقدمات: «أقسم بالله العظيم إنني منذ خرجت من عندك وأنـا أتنقل من مستشفى لآخر بسبب الشلل الذي أصـاب نصف جسدي وقد أنفقت كل ما أملك في العلاج دون فائدة، وأشار عليَّ الأطباء أن أسلم بالأمر الواقع وأن أرضى بقضاء الله وقدره...

وقد جئتك الآن وأني على يقين بأن ما حل بي إنما هو بسبب ظلمي إياك، واستحلفك بالله أن تعفو عني وتغفر لي خطيئتي، وأن تدعو لي بالصحة، فمصيري بعد الله مرهون برضاك عني...»



بصراحة (يقول محدثي «أبو أنس») لقد شعرت بتأنيب الضمير ولم أتوقع أن تستجاب دعوتي بهذه السرعة وبهذا الشكل، وأشفقت على الرجل فقلت له: «لا تثريب عليك يغفر الله لي ولك»...

وقمت في نفس الليلة أصلي وأدعو الله عز وجل أن يشفيه، وأن يكشف عنه الكرب والبلاء...

وهنا تأتي المفاجأة الأعجب...



فقد جاءني المقاول بعدها بأيام صحيحاً سليماً يمشي على رجليه وقد طرق بابي وما أن فتحته حتى ضمني بلا شعور وقبلني بحرارة من شدة الفرحة والسرور وهو يبتسم تارة ويضحك تارة أخرى، يردد بسعادة غامرة: «جزاك الله خيراً... جزاك الله خيراً...

فقد دبت الحياة في مفاصلي وعظامي... وعاد النبض والحركة لرجلي ويدي وكأن نهراً يتدفق تحت جلدي... حتى أفقت من نومي ونهضت من سريري وقد ازدادت ضربات القلب شيئاً فشيئاً.. ثم تحركت رجلي حتى وقفت وأنا بين مكذب ومصدق.

وخررت لله ساجداً شاكراً حامداً وبكيت حياء من فضله وعدله وكرمه ورحمته وعلمت أن دعوة مباركة صعدت إلى السماء واستنزلت الرحمات فكان لها ما أرادت...

فجزاك الله عني كل خير... فقد تساميت على جراحك وآلامك، وعفوت عني فزال البلاء بفضل الله ثم بدعائك المبارك».



رد قائلاً: «هل تصدق أن الحارس دعا عليه هو الآخر بسبب الظلم الذي لحق به، فرزق بمولودة جميلة، فاتنة، إلا أنها كانت ... بكماء لا تتكلم!...

فقد ولدت معوقة وقد عرضها أخي على الأطباء في كل مكان دون جدوى، وكأن لسان حالها يقول لوالدها وهو ينظر إليها: «سامحك الله يا والدي، فهل يستحق مبلغ الخمسين ديناراً ما حل بي من حرمان وآلام؟!!»...

انتهى محدثي من روايته التي كانت أشبه بالخيال... وتذكرت قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ السجدة: ٢١ لقد كانت هذه العقوبة العاجلة استجابة لقلب مكلوم مظلوم سل سيف الدعاء في لحظة قهر، فانتصرت له السماء: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ الحج: ٦٠

كما قال الشاعر:

سهام الليل صائبة المرامي ... إذا وُترت بأوتار الخشوع
يُسدّدها إلى المرمى رجالٌ ... يطيلون السجود مع الركوع
بألسنة تهمهمُ من دعاء ... وأجفان تفيض من الدموع

ما الحل مع هذا الباص؟!



يقول صديقنا العزيز أبو أحمد:

غادر وفد اتحاد طلبة جامعة الكويت البلاد متوجهاً إلى الديار المقدسة عن طريق البر لأداء مناسك العمرة، واستقل الوفد باصين كان أحدهما قديماً، كلما مشى ٥٠ كيلو متراً تقريباً توقف لوجود عطل في الماكينة، ويمضي السائق نصف ساعة في إصلاح العطل لأنه يتطلب فك ستة سيور (غايشات) حتى يصل إلى السابع ويعيد تركيبة ثم يرجع بقية السيور إلى وضعها الطبيعي... وهكذا.



وتكررت المشكلة عدة مرات حتى أصاب الوفد الضجر والملل والتعب، **فاتفقنا على أن يبقى خمسة من الأخوة مع سائق الباص القديم لإصلاحه**، على أن يتحول البقية للباص الثاني ويواصلوا رحلتهم إلى المدينة المنورة.

وفعلاً تم ذلك وواصل الوفد سيره في باص واحد، وبقينا نحن الخمسة نفكر في الحل لأننا في قرية صغيرة لا يوجد فيها كراج أو محل لقطع الغيار، فقمنا بأداءِ صلاة (الحاجة) ودعونا اللّٰه أن يفرج عنا كربنا، وصعدنا الباص وقد أعيانا التعب فقد تجاوز الوقت منتصف الليل لا أدري ما الذي حدث.. إذ تملكنا شعور بالطمأنينة والراحة النفسية بعد الصلاة مصداقاً لحديث النبي ﷺ: «أرحنا بها يا بلال».





وما هي إلا لحظات حتى غط الجميع في سبات عميق من شدة الأرهاق والأرق، وبعد مضي ساعات استيقظنا على أضواء وضوضاء وتوقعنا أننا عند كراج ما... ولكن الباص كان في مكان آخر لم يتوقعه أحد!.. فهو يقف عند باب الفندق في المدينة المنورة..

وسألنا السائق: أين نحن؟

فقال: (وصلنا المدينة المنورة ونحن عند باب الفندق، لقد فعلت صلاتكم فعل السحر، فلم يتوقف الباص لحظة واحدة منذ أن تحركنا بعد الصلاة رغم أننا لم نصلحه)...

وأبدى السائق أعجابه ليس من هذا التيسير واستئناف الرحلة دون إصلاح الباص، بل وللنشاط الذي انتابه لمواصلة القيادة رغم الإنهاك، وفجأة تجدد النشاط إليه بشكل ملفت للنظر، وتبادلنا نظرات الحيرة تارة... والفرح تارة أخرى لاستجابة دعائنا بهذه السرعة ووصولنا سالمين إلى المدينة واستشعر الجميع قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ.. ﴾. النمل - ٦٢ هذه الحادثة لم أنسبها لأحد لأنني عايشتها شخصياً، وكنت أحد الخمسة الذين أكرمهم الله بصلاة الحاجة، فلله الحمد والمنة، وله الثناء الحسن.


قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ..﴾. سورة النمل- آية ٦٢

مسافرون يفتتحون كراجاً جديداً!

يبدو أن حكاياتنا سترتبط بالسفر شئنا أم أبينا، ربما لأنه من مواطن إجابة الدعاء... وتلبية النداء... ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأنعام: ٦٣.

وإليكم هذه القصة التي وقعت أحداثها في منتصف الثمانينات: يقول: (أبو خالد): سافرت مع مجموعة من الأصدقاء إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة،.



وفي طريق عودتنا إلى الكويت تعطلت إحدى سيارتنا مما اضطرنا للتوقف عند محطة بنزين قريبة من مدينة (الدمام).

وطلب مني الأخوة أن أعود بالسيارة إلى أقرب كراج في المدينة، ورافقني في هذه المهمة أحد الأخوة، وكانت المفاجأة التي لم نتوقعها... فالسيارة بمجرد تشغيلها تبدأ بالسير دون أن أضغط على دواسة البنزين ثم تزداد سرعتها شيئاً فشيئاً، والمشكلة أنني كنت أقودها في طريق باتجاهين وفي كل مرة اضطر إلى تعليق (ناقل السرعة) «الجير» ثم أعود إلى مواصلة السير، فكانت القيادة خطرة للغاية وقد حبس صاحبي أنفاسه وهو يراني أتجاوز السيارات دون إرادة مني وربما تجاوزت سرعتها ١٥٠ كيلو متر بالساعة...

وهي تمر بين السيارات بشكل جنوني... ؟؟!!!!!!



9 مسافرون يفتتحون كراجاً جديداً!

حتى وصلنا إلى مشارف مدينة «الدمام» عندها أوقفنا السيارة وأكملنا المشوار مشياً على الأقدام، فقد وصلنا عند الظهيرة يوم الجمعة لذا لم نجد كراجاً مفتوحاً، ولم نجد سيارة تقلنا داخل المدينة ولابد من السير على الأقدام...

فدعونا اللّٰه أن يفرج همنا ولم نجد أي سيارة تقلنا للمنطقة الصناعية في هذا الوقت، كان الجو حار جداً، وبعد الدعاء قررنا أن نفترق على أن نلتقي عند مفرق الطريق خلف احدى المناطق، وكان الأمل بوجود كراج مفتوح شبه معدوم،....



وبعد المشي مسافة طويلة التقينا سوياً عند باب حديدي مفتوح، ولا توجد فوقه لافتة... دلفنا المكان بفضول، فإذا هو كراج جديد ورماله حمراء نظيفة لم تستعمل بعد...!!

فسألنا الحارس: ما هذا؟ فقال: أنه كراج جديد، وقد جاء جميع الفنيين اليوم لتفقد المكان وتجهيزه بمناسبة افتتاحه غداً السبت.

كان جميع العاملين يرتدون لباساً أنيقاً موحداً وبدى المنظر وكأن لجنة استقبال تنتظرنا بحماس لإصلاح سيارتنا باعتبارها أول سيارة تدخل الكراج، فأحاطها الفريق برعاية خاصة، وتمكن من إصلاحها في وقت قياسي.

كانت المفاجأة تدعو للإعجاب والدهشة ولم تفارقنا الابتسامة لهذه الحفلة التي قوبلنا بها في عز الظهيرة، والعناية الإلهية التي سخرت لنا هؤلاء الفنيين في يوم عطلة، ووقت القيلولة وراحة الناس....

لقد كنا نبحث عن أي كراج... فإذا بالمولى جل وعلا يهدينا أحدث كراج ويهيء لنا كل الطاقم الفني الذي استبشر خيراً بقدومنا في هذا الوقت، فكانت سيارتنا أول سيارة تدخل هذا الكراج في يوم مبارك وهو يوم الجمعة ولازلت أذكر الرمل الأحمر النظيف الذي فرش على المدخل مما يدل على أن أحداً لم يدخل هذا المكان قبلنا.

... ألم أقل لكم أن الدعاء يخترق النواميس والقوانين كرامة واستجابة للمضطر إذا دعاه.



سيارة سبورت تتعرض لوابل من الدعاء...

هذه المرة جاءتنا القصة من أحد كبار السن في مسجد الحي يقول فيها:

كنا قد خرجنا لتونا من المسجد بعد أداء صلاة الفجر وبينما نحن في طريقنا إلى بيوتنا نتجاذب أطراف الحديث ونتبادل بعض المعاني الإيمانية في هذا الوقت الجميل الذي تسكن فيه النفس وترتاح فيه الروح وهي تستشرف يوماً جديداً في لحظة هدوء وسكينة وصفاء،.. لحظة تأمل في ليل يعسعس ونهار يتنفس....، ياله من إعجاز قرآني بليغ وآيات باهرة عجيبة وهي تصف استيقاظ النهار كعروس تستنشق الهواء العليل في رقة وحنان وتصافح الشفق بألوانه الزاهية التي تداعب خيوط الليل في وداع يأخذ الألباب..



لم يعكر صفو هذه اللحظات إلا صوت موسيقى غربية صاخبة تنطلق من سيارة رياضية - سبورت - فخمة تسير قربنا بهدوء وفيها شابان في مقتبل العمر، كانا على ما يبدو قد انتهيا من سهرة وقفلا راجعين لمنزلهما في الهزيع الأخير من الليل.



10 سيارة سبورت تتعرض لوابل من الدعاء...

لا أدري ما الذي دهاني، فقد سرحت فجأة عن صاحبي، وجال خاطري في وجوم وتساؤل محموم: **ما هذه الهمة التي تجعل هؤلاء الشباب يسهرون حتى الفجر ولو طلب منهم قيام الليل لمدة ساعة من الزمان لكان ردهم التثاؤب!!!**



أطرقت مليا، ثم توجهت بقلبي وفـؤادي لخالقي أناجيه، أرجـوه، أدعوه بضراعة وتبتل:

اللهم لا تدع هذين الشابين يصلان إلى بيتيهما إلا بهداية من عندك..

اللـهـم لا تدعهما يختفيان عن أنظارنا إلا بهداية تشرح الصدور وتحبب الإيمـان وتكره لهما الكفر والفسوق والعصيان...

وعدت لصاحبي . الذي لاحظ شرودي . نواصل حديثنا.

وفي اليوم التالي نسيت موضوع الشابين وتوجهت كعادتي لصلاة الفجر في المسجد.

وفوجئت بما لم أتوقعه: نفس السيارة تقف عن باب مسجدنا وقد سبقني الشابان إلى المسجد !!..

ما الذي حدث؟!

هل يعقل أن تكون إجابة السماء بهذه السرعة؟

هل هي رسالة ربانية لمخلوق ضعيف مثلي بأن الله قد استجاب لدعائي؟.. لم لا؟

بل إن حكمة المولى اقتضت أن يصلي الشابان صلاة الفجر بالذات... في اليوم التالي .. وفي المسجد نفسه...

وألا تفوتني صلاة الفجر لأشهد بأم عيني أثر الدعاء وسعة رحمة الله وكم كانت فرحة غامرة وسعادة عامرة حتى أيقنت بالوعد الإلهي (أدعوني.. أستجب لكم).



اقتضت حكمة المولى جل وعلا أن يهب لمن يشاء ذكوراً ولمن يشاء إناثاً أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً.. أما العقيم والعاقر فإنهما يتمنيان المولود أياً كان ذكراً أم أنثى.. وأما من رزق أحد الجنسين فإنه يتمنى الجنس الآخر لتكتمل فرحته بالذرية التي وصفها القرآن بأنها (فتنة)..

هكذا جُبل الإنسان... بل إن بعضهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم...

أما المؤمن فإنه يرضى ويأنس بما قسم اللّٰه له... فإن جاءته المولودة شكر الواهب وإذا سُلب فلذة كبده يحزن قلبه وتدمع عينه ولا يقول إلا ما يرضي الرب (إنا للّٰه وإنا إليه راجعون)... **فللّٰه ما أعطى وللّٰه ما أخذ...**



فسبحان من خلقنا من تـراب ثم من نطفة ثم جعلنا أزواجاً ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فاطر: ١١

تدبرت وتأملت هذه المعاني، وأنا استمع (لأم محمد) وهي تروي تجربتها ومحنتها وزوجها مع الحمل والولادة... تقول السيدة الفاضلة:

كان لنا ثلاثة أولاد، وتمنيت وزوجي أن نرزق بمولودة، وبعد سنوات حملت فلما أثقلت دعوت الله أن يحقق حلمي.

وكانت نتائج الفحوصات تبشر بخير حتى جاء اليوم الموعود **فنقلت إلى المستشفى وقلبي يخفق طرباً وخوفاً لاستقبال المولود الجديد...** وأُدخلت الجناح وبقى زوجي في الخارج طوال الليل.



... وطال انتظاره وازداد قلقه... ونفد صبره...

وكلما راجع موظف الاستقبال وهو يترقب البشرى... يجد صمتاً مريباً.. حتى شك بالأمر وألحَّ بالسؤال، وارتفعت وتيرة وحدة النقاش .

حتى بادره الموظف بنبرة حزينة: «جاءتك مولودة.. إلا أنها توفيت قبل الولادة بساعة لالتفاف الحبل السري حول عنقها مما أدى لاختناقها.. عظم اللّٰه أجرك وأخلفك خيراً منها» ..

ألُجم أبو محمد بالنبأ ولم يستوعب الخبر بادي الأمر ثم تمتم بكلمات إيمانية: «إنا لله وإنا إليه راجعون.. اللهم آجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منها... لا حول ولا قوة إلا باللّٰه».وجلس على الكرسي وقد خارت قواه بعد السهر والوقوف الطويل



تقول أم محمد: «كنت في ذات اللحظة أبادل زوجي نفس الشعور وأشكو بثي وحزني إلى اللّٰه، فلم نجزع ولم نهلع ولم نسخط بل رضينا بقضاء اللّٰه وقدره وبما اختاره لنا... فلله الأمر من قبل ومن بعد.

لا أدري ما الذي جعلني أتذكر قصة إبراهيم عليه السلام الذي رزق بإسماعيل عليه السلام ...

من زوجه العجوز في معجزة إلهية وما أن قرت عينه به وأصبح شاباً يافعاً حتى أمره رب العزة بأن يذبح هذا الولد... حقاً إن هذا: «لهو البلاء المبين»... كانت هذه المعاني هي الزاد الذي حفنا بالسكينة والطمأنينة في محنتنا النفسية التي تضاعفت آثارها بسبب سفر أهلي وأهل زوجي. فلم نجد من يواسينا وبقيت انظر لوجه ابنتي الحبيبة المفعم بالبراءة وقد غطي بقطعة قماش بيضاء أعددناها كفراش جميل، فتحول إلى كفن صغير بين يدي ملك الموت.

يواصل (أبو محمد) رواية زوجته فيقول:

عندها قمت بأخذ المولودة مع أحد أقربائي إلى المقبرة، وكشفت الغطاء لأرى براءة وجمال ونور يشع من وجهها المشرق، رأيت شعرها الاسود الناعم يداعب بشرتها البيضاء، بدت لي وكأنها عروس تغط في نوم عميق لا في موت سحيق، وضعتها بهدوء في القبر وأهلت عليها التراب في سكينة وسط أجواء من الحزن والأسى لفراق فلذة كبدي التي ودعت الدنيا وهي في كامل طهارتها... ثم عدت لزوجتي فتواصينا بالصبر والتسليم بالقضاء...



مرت الأيام والشهور سريعة، فحملت زوجتي مرة ثانية ودعونا اللّٰه أن يرزقنا مولودة تكون قرة عين لنا، وأقترب الوعد..

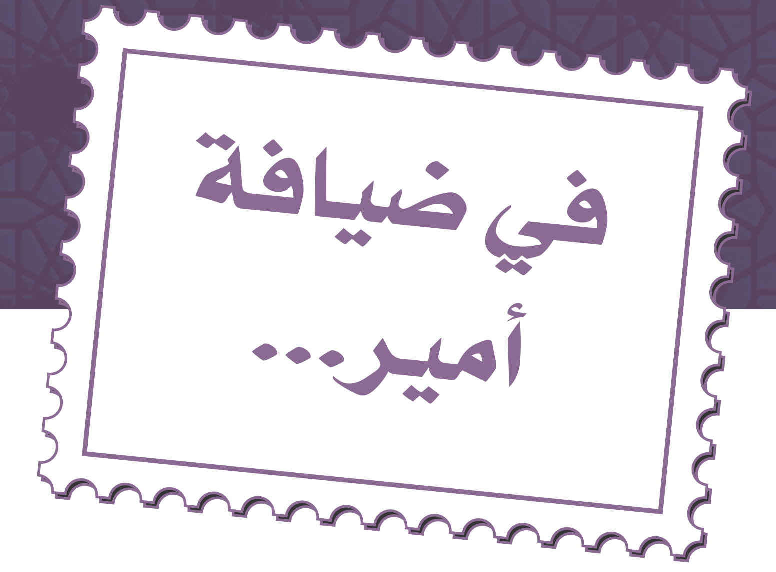
وجاء الموعد...

فخيل إلينا مشهد (بسمة) المولودة الأولى التي كانت أسما على مسمى، وتكررت التجربة بكل تفاصيلها، وما هي إلا ساعات حتى جاءت البشرى بمولودة جميلة تأخذ الألباب، أنها (نوره) التي كانت جائزة السماء وهبة المولى جل وعلا ساقها إلينا في نفس اليوم الذي ولدت فيه (بسمة) بعد مرور سنة على وفاتها،... نفس اليوم، وكأن في الموعد إشارة للابتلاء الذي أصابنا قبل سنة، بل رزقنا الحسنى وزيادة...

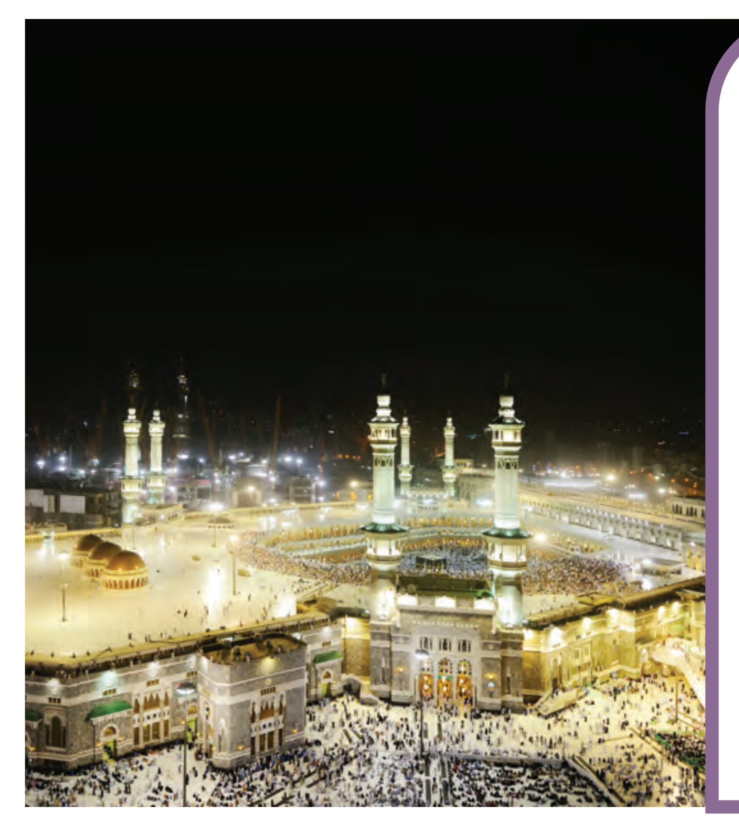
فقد رزقنا مولودة أخرى بعد سنتين، واكتملت الفرحة...

وأيقنا بسعة رحمة اللّٰه، فسألناه شفاعة (بسمة) لنا يوم العرض الأكبر.... وأن ترتسم البسمة على محيانا... وأنارت نوره وأختها حياتنا بالسعادة والأمل، فحمدنا اللّٰه على ما أخذ وما أعطى... ذلك فضل اللّٰه يوتيه ما يشاء واللّٰه ذو الفضل العظيم.


قال تعالى : ﴿قَالَ إِنَّما أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي
إِلَى اللّٰه وَأَعْلَمُ مِنَ اللّٰه مَا لا تَعْلَمُونَ﴾
(سورة يوسف- آية٨٦)



في ضيافة أمير...



كان الصديقان الحميمان الشيخ مساعد مندني وطارق العمر في غاية الأنس والسعادة وهما في طريق العودة من الديار المقدسة، يتذاكران مآثر الحج وكرامة الحجيج وما أدخر لهما من أجر عظيم... شعر الإثنان أنهما ولدا من جديد وعادا بصحائف بيضاء من الذنوب نقية من الخطايا... وبينما كانا يتشاطران تلك المشاعر الفياضة إذ بصوت فرقعة مدو ينطلق من محرك السيارة وذلك عند دخولهما مدينة «الرياض».

توقف قائد السيارة الشيخ مساعد على ناصية الطريق وأسرع بفتح غطاء المحرك ليكتشف وصاحبه أن عطباً كبيراً قد حدث نتيجة تسرب الزيت طوال الطريق دون أن يشعرا بشيء... كانت المفاجأة ثقيلة الوطء.. شديدة الخطب لأن العطل جسيم ويحتاج إلى مبالغ طائلة لإصلاحه...

ماذا يفعلان؟ وكيف يتصرفان؟... كيف سيواصلان الرحلة وهما لا يملكان إلا النذر اليسير من المال؟

يقول الشيخ مساعد: بصراحة تملكنا القلق والحيرة وضاقت بنا السبل وجلسنا على الرصيف بجوار سيارتنا .



وقد لزمنا الصمت وفجأة بادرني صديقي العزيز طارق قائلاً: أو لسنا على سفر؟ قلت: نعم. قال: أولسنا أصحاب حاجة وقد وقع علينا ضرر؟ قلت: إلام ترمي؟ قال: مادام أن دعاء المسافر مستجاب، وكذا المضطر فماذا ننتظر؟ دعنا نصلي صلاة الحاجة ونتضرع إلى الرب جل وعلا ليكشف عنا هذا البلاء ويفرج عنا ما نحن فيه.



سررت لهذه اللفتة الإيمانية ..

واتجهنا سوياً لمن بيده مفاتيح السماوات والأرض.. وألسنتنا تلهج بالدعاء والثناء والتوسل بحرارة، لا تقل عن حرارة الجو القائظ في عز الصيف وسط صحراء قاحلة... وانطلق كل واحد منا يناجي ربه بما تيسر له من كلمات صادقة يحدونا الأمل واليقين الجازم بالوعد الإلهي بإجابة دعوة المضطر.. ولم يتأخر الرد.

فما هي إلا لحظات حتى توقفت بقربنا سيارة فخمة وترجل صاحبها الذي بَدَتْ عليه مظاهر الثراء وألقى علينا التحية ثم سأل عن حالنا وسر جلوسنا على قارعة الطريق في مثل هذا الوقت من الظهيرة.. وبعد أن شرحنا له المشكلة وما ألَمَّ بنا من مصاب هدأ من روعنا وقال:

«إن أمير مدينة الرياض لاحظ أثناء خروجه من المسجد بعد أداء صلاة الجمعة سيارتكما المتوقفة وجلوسكما على الرصيف قربها وقد أوصاني أن أسعى في حاجتكما فهلما معي، فأنتما في ضيافته..

يقول الشخ مساعد: (فانطلق الرجل بنا إلى قصر منيف وبستان بهيج، وما إن دخلنا دار الضيافة حتى وجدنا مائدة عامرة بانتظارنا ولم يسمح لنا الجوع بالمجاملة والتمنع، فقد تبدد الخجل وهوينا كنسر جامح أو جارح على المائدة من شدة الجوع والعطش والتعب..



وتكفل الأمير جـزاه اللّٰه خـيـراً بـإصـلاح سيارتنا على حسابه الخاص...

لم نستغرب هذه البادرة الإنـسـانـيـة مـن سـمـوه، وقـد شـكـرنـاه عـلـى كـرم الضيافة.. فلا يشكر اللّٰه من لا يشكر الناس...

وبعد الغذاء والاسترخاء سألنا الرجل عن حاجتنا فذكرنا له مشكلة السيارة والحاجة لتصليحها، عندها اعتذر صاحبنا بلطف لأن اليوم هو يوم الجمعة وكافة الكراجات والمحلات مغلقة، وطلب منا الانتظار للغد ريثما تفتح المحلات إلا أنه وبعد محاولاتنا وإلحاحنا وافق على المضي بنا إلى المدينة الصناعية، وفعلاً وجدنا ضالتنا في وقت غير مألوف وسط دهشة المرافق لهذا التيسير العجيب، فلم يعهد أن تفتح كراجات السيارات أبوابها في مثل هذا اليوم...

وانطلقنا بسيارتنا عائدين لديارنا ونحن لا نصدق ما جرى من تفريج كربتنا ومن تسخير رب العزة عبداً من عباده ليكشف عنا البلاء على نحو لم يدر بخلدنا.

فمن الذي قدّر خروج الأمير من هذا الطريق وفي هذا الوقت؟ ومن الذي هداه للإلتفات إلينا والسؤال عن حالنا؟... فنحن في نظر المارة مجرد عابري سبيل توقفوا لحاجة أو لاستراحة.. خاصة وإننا داخل المدينة ولسنا في طريق السفر..

إنها الرحمة الإلهية التي سخرت لنا هذا وما كنا لها مقرنين... وهي الكرامة التي يرفل بها عباد الرحمن أينما كانوا.. في (عرفة).. أو خارجها.. وهي النعمة الربانية التي ساقت إلينا إميراً مفعماً بالإنسانية أبى إلا أن يستضيف ضيوف الرحمن، وأن يكون سبباً في تفريج الهم والكرب الذي ألمَّ بهم...

فسبحان الرؤوف بعباده، الرحيم بخلقه... وعد فأوفى:

«وقال ربكم ادعوني استجب لكم».. شرط بشرط.. ما أجملها من معادلة!





كرسي متحرك.. ممنوع من الحركة!

يقول أبو معاذ: ما أن وطأت قدامي البيت الحرام في العشر الأواخر من رمضان حتى هبت علينا بشائر الخير ورياح التيسير وداعبت أمواج القضاء مركب الدعاء بين فينة وأخرى.. هذا ما لامس فؤادي وأنا أصطحب والدتي العزيزة لأداء مناسك العمرة.

وإليكم هذه المشاهد والمواقف التي مرت معنا لتدركوا بركة الدعاء في رحلتنا المقدسة:

1 الموقف الأول:

سألت سائق التاكسي ونحن في الطريق من جدة إلى مكة: كيف الوضع هناك (أي في مكة) هل الزحمة شديدة؟

رد بقلق ممزوج بالتشاؤم: «جداً... بالأمس استغرق دخولنا مكة قرابة الساعتين...»

قلنا بثقة وإحساس بالطمأنينة: «اللّٰه كريم...».



وبدأنا بالدعاء، وكان الجواب سريعاً.. فالطرق شبه خالية وقد وصلنا إلى مشارف مكة وقت صلاة العشاء، واخترقت السيارة الطرق بسلاسة عجيبة حتى وصلت إلى باب العمارة، والسائق لا يصدق ما يحدث، عندها التفت إلينا بدهشة وقال بعفوية:

«واللّٰه أنتم بركة! فلم أصل إلى هنا بالأمس لأن الشرطة كانت قد أغلقت هذه الطرق..».

2 الموقف الثاني:

حين دخلت الحرم المكي مصطحباً والدتي على الكرسي المتحرك ومعنا الخادمة فوجئنا بزحام شديد جداً في الطواف.

المشكلة أن رجال الأمن منعوا الناس من الطواف حول الكعبة بالكراسي، سألنا الشرطي: ماذا نفعل؟ قال: الطواف بالكراسي مسموح في الدور الأول فقط.

أصابتنا حيرة ودهشة، فالشوط الواحد هناك يعادل سبعة أشواط في الدور الأرضي، والمشكلة أن الخادمة، لم يكن بمقدورها الطواف مشياً على الأقدام مسافات طويلة..

ما الحل؟ فالوالدة لا يمكنها أن تطوف تحت، والخادمة لا تستطيع أن تطوف فوق !! كيف أوفق بينهما؟

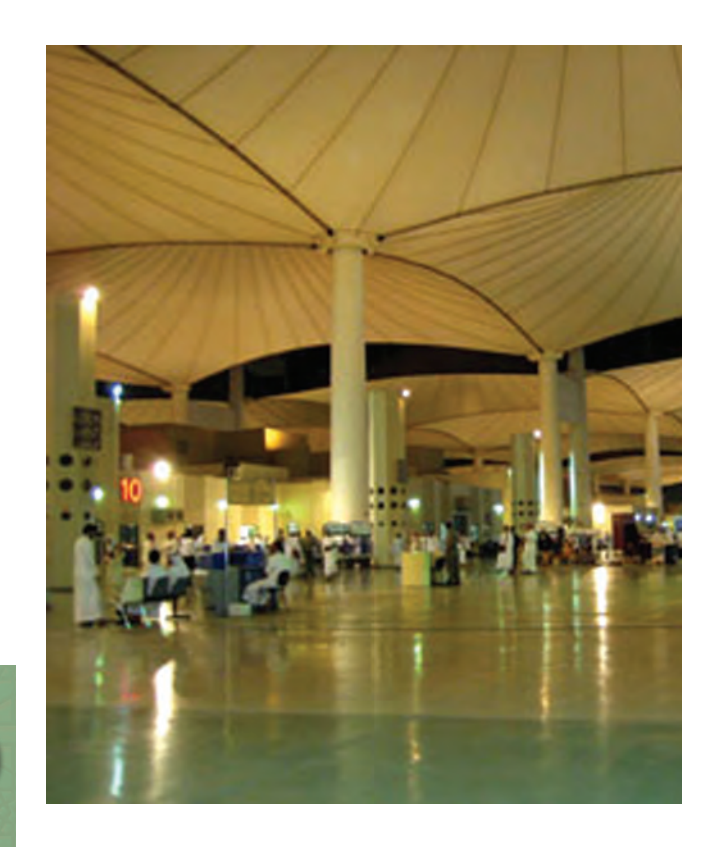
ولا يعقل أن أترك الخادمة تطوف وحدها لأنها أول مرة تؤدي فيها مناسك العمرة... وبعد نقاش مستفيض قررت الوالدة الاتكال على الله والطواف مشياً على أقدامها المتورمة في الدور الأرضي بين آلاف المصلين وعمَّار بيت الله الحرام، وتوجهنا إلى صحن الكعبة ونحن في خوف وقلق وشك من قدرتها على تحمل الزحام وإكمال الطواف، بدأنا الشوط الأول ثم الثاني، ولم تمض نصف ساعة إلا وقد أنهينا الأشواط السبعة، وبكت أمي عند الحجر الأسود فرحاً وهي تردد بحرقة:

«طلبتك يا ربي... طلبتك وما قصرت معي يا حبيبي يا ربي».

3 الموقف الثالث:

بعد مضي ثلاثة أيام من أداء مناسك العمرة وصل أخي إلى مكة ليحل محلي ويبقى مع والدتي حيث اضطرتني ظروف العمل إلى العودة إلى الكويت، وحين دخلت مطار جدة ووضعت حقائبي عند كاونتر شركة الطيران فوجئت بأن رحلتي إلى الكويت هي يوم ٣ من الشهر وليس يوم الثلاثاء! أي أن رحلتي غداً وليس اليوم!

سألت الموظف: ما العمل الآن؟.. رد قائلاً: «والله لا توجد أماكن في رحلة اليوم لأننا في موسم رمضان كما تعرف»...



ابتسمت لقدر الله، لأنني على ثقة أنه سيرد على التحية بأحسن منها! وتوجهت إلى مصلى المطار وكان الوقت ضحى، فصليت ثم دعوت البارئ جل وعلا أن يفرج عني وأن ييسر لي أمري.

وبعد لحظات راجعت الموظف فقال:

أين التذكرة، لقد توفر لك مقعد على متن الرحلة وأنت آخر الركاب فأسرع قبل فوات الآوان..

العجيب أنني حين دخلت الطائرة وجدت أن المقعد الذي خصص لي هو أفضل مقاعد الطائرة، لأنه مخصص لحالات الطوارئ ولا توجد أمامه مقاعد لمسافة مترين!! ويطل على ثلاثة نوافذ، بل إن الراكب بجواري حمل أمتعته الشخصية وانتقل لأحد أقاربه في الخلف، فأصبح مقعده شاغراً لأغراضي وأوراقي زيادة في الدلال!... فكان مقعدي أكثر مساحة من مقاعد الدرجة الأولى...



جلست طوال رحلة العودة أتأمل المشاهد والمواقف الثلاثة، وخاصة طواف والدتي مشياً على قدميها العاجزتين... وتذكرت خاطرة أحد المشايخ التي طالما كان يكررها في حديثه عن التيسير واستشهاده بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ الليل ٥ - ٧ وقوله: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ الشرح: ٥ - ٦ فقد اجتمعت بركة الدعاء مع بركة اصطحاب الوالدة... وجاءت الثمار يانعة فوَّاحة بأنغام التيسير مع كل خطوة خطيناها.


قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى
وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى
(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾
الليل ٥ – ٧



شلل الطب عن معالجة الشلل!



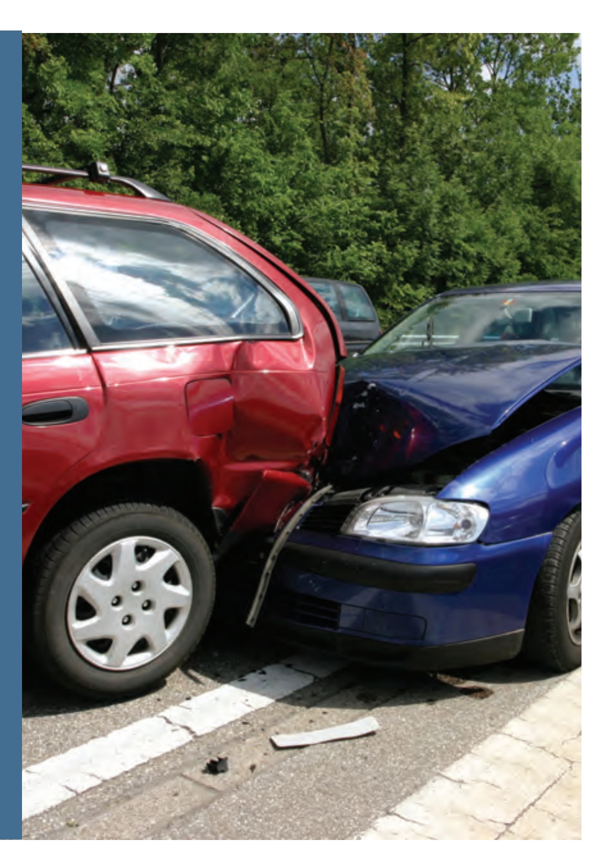
يقول الشيخ أحمد الدبوس:

حين يتهاوى الجسد ويتساقط البدن تحت معاول المرض، وتحكم الحمى قبضتها ويستشري الوهن والعجز في الجسد ويرى السقيم نفسه كريشة ملقاة بأرض فلاة تقلبها الرياح كيفما تشاء، فلا سماء تظله ولا أرض تقله، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا نشوراً، فالهلاك أدنى إليه من شراك نعاله.. عندها يستشعر معنى الافتقار التام إلى رب الأرباب ومن بيده صلاحه وفلاحه..

ويستحضر معيّة الرحمن الرقيقة الرفيقة، الحانية الراعية لعبده الكليل الهزيل الذي أضناه المرض، وأرَّقه السُّهاد، وأنهكه التعب، ولجأ لرب العرش العظيم يستمد منه العون والشفاء والصحة والعافية.. فتتنزل عليه بركات ورحمات ويبرأ من أدران المرض ويتلاشى الداء وسائر العلل...

إنها مقدمة لازمة وتمهيد حتمي لقصتنا التي تكاد تكون ضرباً من الخيال والأساطير لولا أنني تلقيتها من الشيخ الفاضل أحمد الدبوس شفاهة، وأصغيت له باهتمام وهو يسرد لي أخطر تجربة مرت بحياته، ويكشف لحظات المناجاة التي أنهت مأساة كادت أن تحيله للعجز الأبدي... يقول الشيخ أحمد الدبوس:

في عام ١٩٨٧م تعرضت لحادث مروري أليم وأصيب عمودي الفقري ...



مما اضطررني للسفر إلى ولاية لوس أنجلوس في أمريكا لتلقي العلاج اللازم وإجراء عملية جراحية، وقد أخبرني الطبيب أن العملية ستكون خطرة جداً وأنني قد أصاب بالشلل نتيجة لذلك.. ومن شدة الألم ومعاناة المرض ووطأة الوجع وافقت على إجراء العملية، وبدأ الفريق الطبي بالعملية الجراحية وبعد ثمان ساعات من العمل المضني والمتواصل، فجأة حدث تطور أربك الأطباء وهيمنت حالة من الذعر بينهم فقد انتابني هبوط حاد وتدهورت صحتي بشكل خطير وكأن صاعقة هوت في عظامي، وحدث ما كان يخشاه الجميع... واستيأس الفريق الطبي من العلاج وجمع أمره على التسليم بالأمر الواقع...

وساد غرفة العمليات شعور بخيبة الأمل ..

انسل الجميع على أثرها للخارج ولم يبق حولي إلا الممرضين.. كانت صدمة عنيفة أنهار لدى سماعها ابن أخي الذي كان يرافقني وسقط على الأرض فور إبلاغه بالنبأ... (لقد أُصيب عمك بشلل نصفي... نأسف لهذه النتيجة... بذلنا ما في وسعنا دون جدوى... إنها إرادة الله..) بهذه الكلمات رثى المسؤولون قريبي الذي مكث طوال الوقت خارج غرفة العمليات.

وحرص رئيس الفريق على ابقائي تحت تأثير المخدِّر (البنج) ١٢ ساعة ريثما تتهيأ الظروف النفسية لابلاغي بحقيقة الأمر...

واستيقظت بهدوء ولم أشعر بالنصف الأسفل من جسدي وظننت بادئ الأمر أن ذلك بفعل المخدِّر وسرعان ما تبدد هذا الشعور الخادع..

فقد اكتشفت الحقيقة المرة وهي أني قد أُصبت بشلل نصفي ولا أستطيع أن أُحرك قدامي أو أن أقضي حاجتي...

لا أدري كيف تنزلت السكينة والطمأنينة والرضا بقضاء الله وقدره .



فقلت في نفسي: «الحمدلله.. الحمدلله ولا حول ولا قوة إلا بالله. يا ربي لئن ابتليت... فلطالما عافيت.. ولئن أخذت فلطالما أعطيت.. ولئن أخذت نصفي فقد أبقيت نصفي الآخر».. «الحمدلله الذي أبقى لي قلباً ذاكراً ولساناً شاكراً»... بهذه الكلمات كنت أستقبل المصيبة.. وتذكرت حديث أم سلمة رضي الله عنها فقلت: «اللهم آجرني في مصيبتي وأخلفني خيراً منها»..

وبينما أنا على هذا الحال إذ دخل عليّ الجرّاح المسؤول عن العملية ليعرب عن أسفه لما حدث ويشرح سبب الفشل الذي أدى إلى الشلل وعبّر عن حزنه الشديد هو والفريق الطبي.

إلا أنه استغرب في الوقت نفسه حين رآني هادئ البال، مطمئن النفس، راضٍ بقضاء الله.

ولاحظ الدكتور أن معنوياتي كانت عالية وكلامي كان طبيعياً، ونفسيتي لم تكن قلقة أو مضطربة.

عندما أحضر لي جميع الأطباء المشاركين في العملية ومن بينهم مستشار في الباطنية، وآخر متخصص في المسالك البولية، وثالث بالأعصاب، إضافة للأطباء المكملين لهم، وقد أجمع الأطباء على تشخيص حالتي الصحية وقالوا: إن المريض يعاني حالياً من شلل نصفي...».

في هذه الأثناء شعرت بأن الأسباب الدنيوية قد انتهت وإن الأطباء قد وصلوا لمرحلة العجز في التعامل مع حالتي ولم يبق لي إلا رب الأسباب وهو الله سبحانه وتعالى.





فبدأت بالمناجاة والدعاء، وفي ليلة من الليالي وفي وقت السحر وقبل الفجر. وهو من الأوقات التي يُستجاب فيها الدعاء وينزل فيه الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله. ويقول:

(هل من سائل فأعطيه)..

فتوقفت عند هذه الكلمة وقلت: (يا رب أنا عبدك الفقير الذي حدث لي ما حدث...)

وجعلت أعرض حالي على ربي ومرضي وضعفي وافتقاري، وأخذت ألحُّ في الدعاء.

ولا أدري كيف خرجت الكلمات من القلب صافية صادقة بتذلل وانكسار وخشوع وخضوع للبارئ جل وعلا... دعوت ربي وكلي يقين وثقة بأنه قادر على أن يبدل الأحوال، وأن أمره بين الكاف والنون: (كن فيكون)...





14 شلل الطب عن معالجة الشلل!

كان ذلك في اليوم السادس من العملية وقبل أن تبزغ أشعة الشمس شعرت بالحاجة إلى التبول واحتباسه في المثانة.

فقلت للممرض: «أنا أشعر باحتقان البول» فلم يلتفت إليَّ وظن أني بدأت أهذي من شدة الصدمة وهو يتساءل في نفسه: «كيف يشعر بالبول وهو مشلول»؟

ولم يعرني اهتماماً، فكررت عليه الكلام بحدة وزجر وصرخت عليه.



فلم يرد عليَّ ولم يعبأ بي، ثم ناديته وأمسكت يده بقوة وشعر بقبضتي وقوتي، فلم يصدق ما يراه واتصل فوراً بالطبيب وقال له: (الحق يا دكتور فالمريض يعاني من حصر البول ولا بد أن تحضر ولا أتحمل مسؤولية المريض وأخشى أن يؤدي الأمر إلى فتق الجرح الذي لم يلتئم بعد وربما تحول الأمر لمشكلة كبيرة ما لم نتصرف بسرعة... أرجوك أن تأتي حالاً...).. ولم يكترث الدكتور لنداء الممرض وقال له: «لا تهتم بالأمر كثيراً فهذا المريض بدأت تصيبه نوبة من الهستيريا ويتوهم بأمور لا حقيقة لها».

فأصرَّ المرض على رأيه وحمل الدكتور المسؤولية كاملة، عندها استجاب الدكتور وحضر إليَّ في الغرفة وسألني: (ما بك؟) فقلت له: (إنني أشعر بالحاجة للتبول). ولم يصدق ما سمعه، وقام بالاتصال بدكتور المسالك البولية وقال له: (المريض يعاني من حصر البول وربما يكون في حالة هستيرية، فقد فحصناه وأنت قد أكدت في تقريرك أن المريض لا يمكن أن يشعر بأي إحساس بالحاجة للتبول...) فقام الدكتور المتخصص بالحضور مسرعاً ليتحقق من الأمر وهو في غاية الاستغراب.

ودخل علي قبل الفجر بدقائق، وقام بربط قدمي ويدي بإحكام في السرير، وأجرى فحصاً سريعاً على المسالك البولية وأعطاني بعض الحقن، وتابع العملية وترقب ردة فعلي وتفاعل الجسد مع الحقن، فلاحظ توتر الأعصاب وازدياد الاضطراب حتى خشي عليَّ الدكتور المرافق له من انفتاق جرحي، إلا أن الطبيب المختص طلب منه التريث عشر دقائق للتأكد من تفاعل العضو التناسلي مع الحقن وأنه بدأ يشعر بالإحساس...

وفعلاً اشتد الخطب وارتفعت حرارتي وتحركت الدماء في عروقي وازدادت ضربات القلب، وبدت ملامح وجهي بالاحتقان..

والطبيب المرافق يناشد زميله التدخل قبل فوات الأوان وقبل أن ينفجر الجرح ويتمزق، ويقول له: إن المريض بدأ يشد على نفسه وسيتمزق الجرح وربما سبب لنا مشكلة كبرى ولابد من إنهاء المحاولة





وبينما نحن في هذا الوضع الخطير إذ بالطبيب المختص يفتح الصمام فكانت المفاجأة المذهلة وهي خروج البول بشكل طبيعي...».

فصرخ الطبيب: «المريض ردت له الحياة!!!».

نعم، فقد دبت الحياة في جسدي المشلول، وجرت الدماء في عروقي، وعم النشاط والحيوية النصف الأسفل من بدني...

يعلق الشيخ أحمد الدبوس على هذه الحادثة الفريدة والمعجزة الإلهية العجيبة فيقول:

«لقد تركت هذه التجربة في نفسي شعوراً غريباً، وسرى الإيمان في قلبي كما سرت الحياة في جسدي... لقد رأيت فيها شلل الطب الحديث عن العلاج وعجز الأطباء عن تقديم الشفاء واستسلامهم التام لقدر الله... وتأملت فيها عظمة الخالق جل وعلا الذي إذا أراد شيئاً إنما يقول له: كن فيكون، فقد استجاب الرحمن لدعاء عبده الضعيف المسكين الفقير إليه، وأيقنت بقوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾...

فقد أعاد لي صحتي وعافيتي دون سبب مادي ودون إبطاء وهذا ما يؤكد أهمية الدعاء والإلحاح فيه وخاصة وقت السحر، وهي نعمة تستحق الشكر والثناء، فأنا الآن أستطيع أن أمشي وأتحرك وأمارس حياتي الطبيعية بفضل اللّٰه وأقدر أن أسافر وأزاول نشاطي المعتاد في إلقاء المحاضرات وغيرها من ميادين الدعوة... وهي تجربة زادت يقيني باللّٰه وزادت من توجهي والتجائي إليه سبحانه وتعالى.

يقول إبراهيم علي بديوي:

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... يا شافي الأمراض من أرداكا

قل للمريض نجا وعوفي بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاكا

قل للصحيح يموت لا من علة ... من بالمنايا يا صحيح دهاكا

قل للبصير وكان يحذر حفرة ... فهوى بها من ذا الذي أهواكا

واللّٰه في كل العجائب ماثل ... إن لم تكن لتراه فهو يراكا

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه اللّٰه:

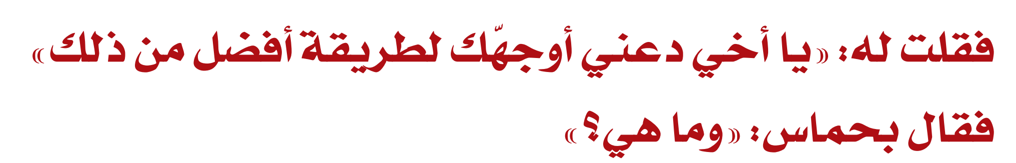
(لا يقلق من كان له أب، فكيف بمن كان له رب!)...

وشتان بين عناية الأب.. ورعاية الرب سبحانه وتعالى.



وللشيخ أحمد الدبوس مواقف جميلة، وجليلة مع الدعاء، وهذه واحدة منها:

يقول الشيخ: (دخلت يوماً محلاً للتسجيلات في مدينة «الخبر» بالمملكة العربية السعودية... وكنت أبحث عن مجموعة أشرطة كاسيت للاستفادة منها في بعض محاضراتي، وبينما كنت أتجول داخل المكتبة، سمع صاحب المكتبة بعض الحضور ينادونني «يا شيخ...» ويسلمون علي بحرارة، فتقدم إلي وقال: «أرجوك يا شيخ» قلت: «خيراً إن شاء الله»، فقال: «يا شيخ لم يبق أحد من أهلي ومعارفي وكبار الشخصيات في المجتمع إلا وتوسلت إليه أن يساعدني لإحضار زوجتي إلى هنا، ومنذ شهر ونصف وأنا أحاول أن أحضرها ولكن دون جدوى رغم توسط أناس كثيرين، وقد سمعت أصدقاءك ينادونك... يا شيخ، يا شيخ، فأرجوك أن تدعو لي بأن تحضر زوجتي إلى هنا).



فقلت له: «يا أخي دعني أوجهّك لطريقة أفضل من ذلك»

فقال بحماس: «وما هي؟»

قلت له: «أنت هنا في مدينة - الخبر - وزوجتك في مصر، فاعزم هذه الليلة على صلاة القيام، وقبل ذلك اتصل بزوجتك في مصر واطلب منها أن تقيم هذه الليلة، وكل واحد منكما يدعو أن يجعل اللّٰه لكما بعد العسر يسراً، وأن يحقق مرادكما».

وفعلاً أخذ صاحب المكتبة بالنصيحة وجعل ينادي ويناجي ربه في تلك الليلة، وأخذت زوجته بهذه الوصية وقامت تصلي الليل وتدعو... فكان الدعاء ينطلق بصوت واحد وفي وقت واحد ولكن من مكانين متباعدين (السعودية ومصر).

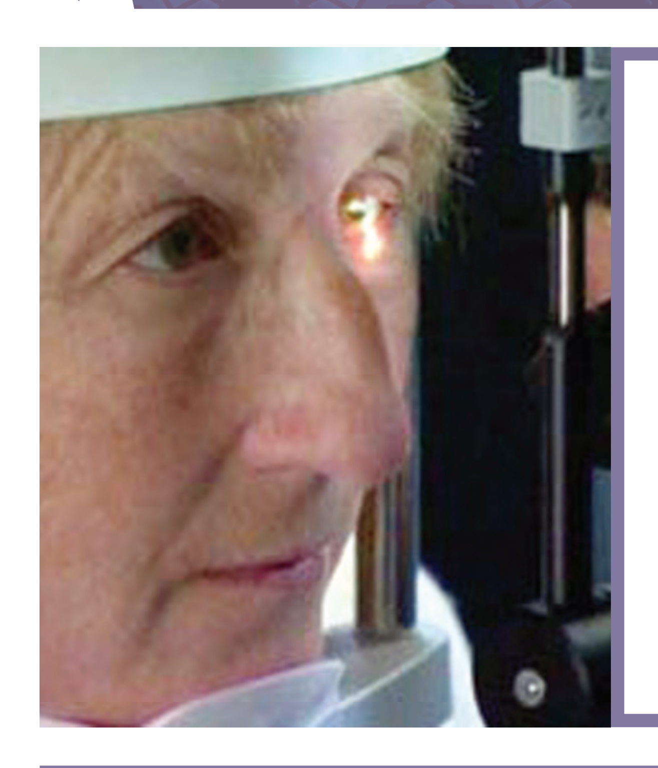


ويقول الشيخ الدبوس: ويقدِّر اللّٰه أن أتوجه لذات المكتبة بعد فترة من الوقت وقد نسيت ما دار بيني وبين هذا الرجل، وما أن دخلت ورآني الرجل حتى بادرني بحركة مفاجئة وقبَّل رأسي دون مقدمات..

فسألته مستغرباً: (ما بك يا صاحبي، ماذا حل بك؟!)

فقال: (أبشرك...) فقلت: (بماذا؟) قال: (لقد أخذنا بنصيحتك التي أسديتها لي قبل أربعة أيام وقد تحقق مرادنا، وزوجتي الآن عندي وقد وصلت إلى هنا البارحة!!).

فحمدت اللّٰه على هذه الاستجابة السريعة وقلت له: «أرأيت تأثير الدعاء وخاصة وقت السحر؟ فاللّٰه سبحانه وتعالى يحقق لنا الخير ا لكثير والعميق كيف لا وهو يقول: هل من سائل فأعطيه...».



واستذكر الشيخ أحمد الدبوس في هذا السياق قصة قرأها في عام ١٩٩٩م بإحدى الصحف تروي حكاية امرأة عجوز تجاوزت السبعين عاماً، وهي فاقدة البصر منذ الصبا، وظلت في الآونة الأخيرة تستغيث وتطلب الله جل وعلا أن يرد لها بصرها... وفعلاً رد الله لها بصرها بعد ١٦ عاماً من الدعاء والإلحاح فيه.

كما أورد قصة امرأة أخرى في منطقة (القصيم) تدعى (أم غانم) من قرية (جراب)، ولدت كفيفة البصر وكانت طوال ٥٥ عاماً تدعو الله عز وجل كل يوم بعد صلاة الفجر أن يرد عليها بصرها... وبعد كل هذا الإلحاح رد الله بصرها...

وهذه نماذج لقصص طويلة وكثيرة تبرهن على قدرة الرب جل وعلا ورحمته بعباده.

ومن أين آتي باللحم؟!



هل وقفت يوماً أمام المحاسب لتدفع الحساب ثم اكتشفت أن المحفظة خاوية الوفاض؟ هل صدم رجلاً سيارتك يوماً فنزلت منها مغضباً يفور الدم في عروقك ثم اكتشفت أن الفاعل صديق حميم؟ هل سكبت كوباً من الشاي على مسؤول كبير أمام الملأ؟.. ما هو لون ابتسامتك حينها؟ كيف تمتص الصدمة في لحظات معدودات لتخفي مظاهر الإحراج والخجل التي تنتابك؟!... إنها مشاهد تراءت لي وأنا أستمع لمحدثي الشيخ مساعد مندني، وهو يروي موقفاً لا يقل حرجاً عما ذكرت، لكنه تعلق بطوق النجاة....

بالدعاء الذي يكشف السوء ويفرج الكروب ويزيح الهموم، ويعيد للمسلم الطمأنينة والسكينة بعد لحظات قلق واضطراب، فيزداد حباً وشوقاً للرب الرحيم الكريم اللطيف بعباده الذي يجيب المضطر إذا دعاه بقلب صادق...

يقول الشيخ مساعد: عزمت يوماً على إقامة وليمة لجمع من الضيوف قدموا من المملكة العربية السعودية ووجهت الدعوة لهم ولأسرهم ولبعض الأصدقاء من الكويت يتقدمهم الشيخ أحمد القطان، كان ذلك عام ١٩٨٩م.

وانطلقت منذ الساعات الأولى لأشتري لحماً وفيراً يكفي للضيوف الذين تجاوز عددهم الأربعين رجلاً وامرأة، وكانت المفاجأة التي لم أحسب لها حساباً، فقد توجهت لمحل الجزار فوجدته مغلقاً ثم ذهبت للثاني في منطقة أخرى فوجدته مغلقاً هو الآخر.

ثم عمدت لثالث فكان كصاحبيه مغلقاً، وتنقلت بين ست مناطق فلم أجد محلاً فاتحاً لتزامن ذلك مع عطلة.

لا أذكر مناسبتها . فأسقط في يدي وتملكتني الحيرة لهذا الموقف العصيب، وخشيت الفضيحة، وراودتني مشاعر القلق فعدت إلى بيتي بخفي حنين، وقبل أن أترجل من سيارتي التجأت إلى ربي ودعوته بقلب مهموم وقلت في نفسي:

«كيف أطبق حديث المصطفى ﷺ الذي قال فيه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»؟ وكيف أكرمهم وأنا لا أجد اللحم في كل مكان؟...

ثم بدأت أناجي ربي جل وعلا وقلت: «يا ربي إن هؤلاء ضيوفي فأكرمهم يا ربي»....



يمضي الشيخ مساعد في حديثه فيقول: ثم نزلت من سيارتي ودلفت منزلي وأغلقت الباب خلفي.

وبعد خطوات قليلة سمعت طارقاً ففتحت الباب وإذا بجاري يسلم علي بحرارة ويقول لي: «بو أحمد: بارك لي، فقد رزقني الله ولداً وذبحت عقيقتي بهذه المناسبة وهذا نصيبك من اللحم...! ».

كانت كلماته كالوابل الصيّب الذي مسح الهم والغم عن قلبي، وشكرته على تلك الهبة، كان لساني مع جاري وقلبي مع ربي الرحيم الودود الذي تفضل عليَّ وأجاب دعوتي بهذه السرعة العجيبة وساق لي هذا الرزق في هذا الوقت العسير.

ودخلت على زوجتي فرحاً مسروراً وقلت لها: «يا أم أحمد خذي هذا اللحم وأعدي لنا وجبة الغداء»، استغربت زوجتي وقالت: «من أين لك هذا اللحم الطيب، فهو طري وكأنه قد ذبح منذ قليل» قلت لها: «صدقت فهو رزق من ربي ساقه إلينا عن طريق جارنا العزيز بومحمد...».

يواصل الشيخ مساعد حديثه قائلاً: «العجيب ليس في حصولنا على اللحم بهذه السرعة ولكن في البركة التي حلت به، فهو قليل لا يتجاوز الخمس كيلوات ولا يكفي للضيوف، لذا اتفقت مع أم أحمد على أن تقطعه قطعاً صغيرة وأقسم بالله أننا أكلنا وشبعنا وكأن شيئاً لم يؤكل، وكذا النساء أكلن حتى شبعن ولم ينقص من الطعام شيئاً...

وكلما أكل القوم كلما فاض من البركة التي حلت به، حتى أنني سألت أم أحمد: «هل كان اللحم عندكم كافياً؟» فقالت: «بل زاد عن الحاجة ولم أصدق ما أرى»... ابتسمت وقلت لها:



«هذه بركة الدعاء يا أم أحمد... وإلاّ.. فمن الذي أرسل جارنا لنا ليحمل لنا اللحم الذي بحثنا عنه في كل مكان؟ وكيف حلت البركة حتى تحقق في مائدتنا قول المصطفى عليه السلام: (خير الطعام ما كثرت عليه الأيادي) هذه بركة ربي... الحمد لله الذي لم يَرُدّني خائباً...».

سمعت هذه الراوية وكنت أظن هذه الصور من المعجزات التي لا تحدث إلا في زمن النبي ﷺ حين كان يدعو في الطعام فيبارك الله فيه ويكفي المئات من الصحابة، كما حدث في غزوة الخندق، عندما استضاف أبو هريرة رضي الله عنه وقال له: «ادع أهل الصفة من المسجد» فاجتمع القوم على قدح لبن وشربوا جميعاً وهو يفيض ولا ينقص... ثم سألت نفسي: ولم العجب؟ أليس الرب واحد، والشرط واحد: «ادعوني أستجب لكم»؟!

ولكرة القدم نصيب من الدعاء

من قال إنّ الحاجة للدعاء لا تكون إلا عند الشدائد والنوازل، أو في الملمات والمحن؟! ومن قال أن الدعاء خاص بالكبار؟! فالتجربة والقصة التالية أثبتت أن للصغار وللشباب نصيب من بركة الدعاء...

يقول عادل الأحمد الذي لم يتجاوز سنه الـ (١٥) سنة:

«كانت المباراة النهائية لكرة القدم على أشدها في بطولة كأس الخليج لكرة القدم، وكان الحماس قد بلغ أشده وتوترت الأعصاب في اللحظات الأخيرة، كنت مندفعاً لكرة القدم، فدعوت في نفسي بعفوية بريئة:





(يا ربي استحي أن أسألك شيئاً تافهاً من أمور الدنيا، ولكن.. ولكن... يا ربي وفق فريقنا للفوز ليفرح قلبي... اللهم أسألك الفوز في المباراة... يا رب).

وما أن سددت الدعاء في مرمى السماء حتى سدد فريقنا هدف الفوز الساحق في آخر لحظة من المباراة.

فصرخ الجمهور في المدرجات فرحاً وطرباً للفوز...

وصرخت أنا من خلف شاشة التلفزيون فرحاً لا بتسجيل هدف الفوز... ولكن بسرعة إجابة الدعاء كيف استجاب ربي لدعائي في أمر دنيوي كهذا؟!... فكان بحق أحلى وأغلى هدف في حياتي، لأنه هدية جميلة من السماء وصدقوني أني شعرت بسعادة لا توصف لأن ربي ذكرني لما ذكرته: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ولو نسيته لنساني... «نسوا الله فنسيهم» أي: تركوا طاعة الله فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته... وتعلمت من هذا الموقف أن أسأل ربي في أي شأن.. صغير أم كبير.. مهم أم غير مهم... ولا يهم أن يجيب كل دعاء.. المهم أن أدعوه في كل حين.. فهو ربي.. وهو حبيبي..





معسر سعودي يساعد معسر كويتي





قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.. قاعدة لا تخطئ أبداً.

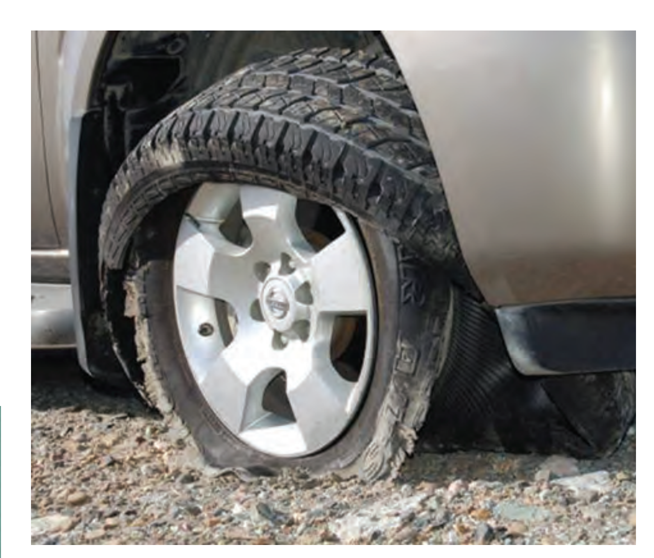
لذا ينشغل العبد بالرزاق لا بالرزق، وبالمنعم لا بالنعمة، فقد تكفل الرب جل وعلا بها لمن توكل عليه حق توكله..

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله: (الرزق يعرف عنوانك وأنت لا تعرف عنوانه).. فلا يأتيك من الرزق إلا ما قدر لك..

هكذا علمنا ديننا الحنيف، وهكذا علمتنا الحياة والتجارب.. والقصة التالية تجسد هذا المعنى في أروع صوره.. وهي حكاية عجيبة يرويها لنا الصديق العزيز عبدالوهاب الفهيد فيقول:

(اصطحبت زوجتي وابنتي الصغيرة إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة، وقبل العودة إلى الكويت حدثتني نفسي أن أتقرب إلى الله تعالى بعمل ما، فتصدقت بكل ما عندي من مال، ولم أدخر إلا النذر اليسير وما يكفي لحاجة الطريق..

وأثناء المسير قبيل غروب الشمس انفجر إطار سيارتي فاستبدلته بآخر، وواصلت القيادة، وفجأة رأيت قطعة حديدة ملقاة وسط الشارع ولم أتمكن من تفاديها فاصطدمت بها وانسلخ على إثرها إطار ثان فأوقفت السيارة بصعوبة بالغة بعيداً عن الطريق العام.





ومع زحف الظلام والسكون الذي خيم علينا شعرت زوجتي وابنتي الصغيرة بالخوف فقلت لها: «تعالي نصلي ركعتي الحاجة ونسأل اللّٰه أن يفرج عنا كربتنا ويحفظنا.

فقالت: «قبل أن نصلي ينبغي علينا أن نزيل قطعة الحديد المعترضة في الطريق لئلا تصيب غيرنا من المسافرين والمارة».. فقمنا بإزالة الحديدة بعيداً عن الطريق ثم صلينا صلاة الحاجة وأقبلت على ربي في ضراعة وخشوع وأنا أبتهل إليه بأن يجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ورفعت يدي بالدعاء وقلت: «يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم، أسألك بسر اسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، أن تفرج عنا ما نحن فيه».

وما أن أنتهينا حتى توقفت بالقرب منا ثلاث سيارات لأداء صلاة المغرب، وبعد الصلاة جاء أحدهم وسلم علينا ثم سألنا عن حالنا وأسباب توقفنا، فأخبرته بما حدث لنا عندها أمر الرجل أبناءه بأخذ العجلتين لأقرب محطة لإصلاحهما.





وبعد وقت قصير عاد الأبناء بعد إصلاح عجلة وشراء أخرى جديدة.

فشعرت بحرج شديد لأنني لا أملك من النقود ما يكفي لدفع قيمة الإطارين فالتزمت الصمت بحياء لم يخف على الرجل، عندها اقترب مني وهمس بإذني: (هل معك نقود؟) فقرأ من قسمات وجهي الجواب الذي ران عليه الخجل، فأخرج من جيبه ٣٠٠ ريال وقال: (تفضل خذ هذا المبلغ عسى أن يسد حاجتك حتى تصل أنت وأسرتك إلى بلادك) فأمسكت يدي وقد تصبب العرق من جبيني وترددت في أخذ النقود، إلا أنه أصرَّ وقال:
(لا تردني.. فهذا المال لا يخصني بل هو دين علي أريد سداده) فاستغربت من كلامه، وسألته: (ماذا تعني؟).

فقال: (في العام الماضي وقع لي نفس الحادث، وفي نفس المكان! ولم أكن أملك من النقود شيئاً، فتوقفت سيارة كويتية وترجل منها شاب كويتي لم يتجاوز الثلاثين من عمره، وقام جزاه الله خيراً بمساعدتي وإصلاح عجلة سيارتي التي انسخلت بعد اصطدامي بقطعة حديدة معترضة في الطريق العام..





واشترى من حسابه الخاص إطار جديد لي وأصلح الآخر ثم سألني: «هل عندك فلوس؟» وقبل أن أرد عليه أخرج من جيبه ٣٠٠ ريال وقال: (تفضل هذا المبلغ أنفقه في طريقك حتى تصل إلى بيتك بإذن اللّٰه) وسألته في حينها: (وكيف سأرد عليك هذا الدين؟) فقال الشاب: (هون عليك، واستعمله في قضاء حاجتك ورده كيفما شئت).

فكررت السؤال مرة أخرى: (وكيف وأنا لا أعرف عنوانك؟) فتبسم الشاب وقال: (لا يهمك.. حلالك.. تصدق به لمحتاج). وقد جاءت اللحظة التي أرد بها دين هذا الشاب لمن هو في حاجة إليه.. والعجب كل العجب أن أجد بعد مرور عام حادثا مماثلاً في المكان نفسه، وأن يحصل لك ما حصل لي؟!).

تسلم صاحبنا عبدالوهاب الفهيد المبلغ في غبطة وحيرة في الوقت نفسه...

وشعور بالدهشة لهذه المفاجأة التي لم يحسب لها حساب وعاد إلى زوجته وهو يردد «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» صدق الله، ها هي صدقة الشاب الكويتي تنتقل من صديقنا السعودي إلينا، وتكون سببا في تنفيس همنا، وتفريج كربنا، وتصبح صدقة جارية للأثنين.. جزاهم الله كل خير.

سبحان الله.. يقع حادث لسيارة بسبب قطعة حديدة وسط الطريق، ويتكرر ذات المشهد بعد عام في نفس المكان... بل ويقدّر المولى جل وعلا أن يمر الرجل السعودي في هذا الوقت على هذا الطريق ليرى عبدالوهاب الفهيد في موقف عصيب وحاجة ماسّة للمبلغ الذي احتفظ به السعودي سنة كاملة ليعطيه من يستحقه!! من الذي دبّر كل هذا وجعل صدقة الشاب تنتقل من معسر لآخر؟.. إنه الله العلي القدير.. ما أروع رحمته ولطفه بعباده الضعفاء.



حصلت على بيتٍ.. مجانا!!



حدثني صديقي العزيز (عمر البدر) فقال: في ليلة من ليال الشتاء الباردة في مطلع الثمانينات دخلت على زوجتي وأنا أكاد أطير من شدة الفرح لاقترابي من تحقيق الحلم الذي طالما راودني في امتلاك بيت يؤويني وأسرتي ويخفف عني كاهل الإيجارات الشهرية.

فقد إدخرنا من الأموال ما يكفي لشراء بيت العمر، وقد آن أوان الحصاد وجني الثمار.

وبينما كنا نخطط بشغف ولهفة لشراء البيت، ونتبادل الرأي في مواصفاته ومكانه.. وكيف ندبر باقي المبلغ..، إذ بوالدي يتصل بي هاتفياً ويبث لي بعض همومه ويقول: «إن بيتنا يا بني كما تعلم صار قديماً تذروه الرياح وغدا متهالكاً بفعل الزمن، وقد عرض علي أحد مكاتب العقار أمس بيتاً جميلاً في منطقة (الروضة) لا تتجاوز قيمته الـ ٩٠ ألف دينار، ولدي رغبة يا ولدي بالانتقال إلى مكان قريب من ضواحي المدينة».

يقول عمر: «لم يكن الأمر بحاجة إلى مزيد من الإيضاح والإفصاح! فالرسالة وصلت واضحة جلية بطلب المساعدة وتقديم يد العون لشراء بيت الروضة.

عندها لم أجد بداً من إجابة النداء دون تردد رغم إننا كنا في ذروة الاستعداد للمرحلة المقبلة من حياتنا، فوعدته بتدبير المبلغ بالتعاون مع أخواني، وقررت التنازل عن مدخراتي والتضحية بكل أموالي لإسعاد والدي مهما كان الثمن.. فإدخال السرور على قلبه يعدل كل شيء في حياتي.

وبعد إغلاق سماعة الهاتف أبلغت زوجتي بالتحول المفاجئ الذي طرأ على خطتنا في شراء البيت.

واستشرتها في الأمر، فردت بهدوء وسكينة ورضا بقضاء اللّٰه وقدره: «ما دامت هذه نيتك وهذا قصدك، توكل على اللّٰه وامض لما عزمت عليه، ولا أقول لك إلا ما قاله سيدنا إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللّٰه مِنَ الصّابِرِينَ﴾ الصافات: ١٠٢.. بل إنها ذكرتني بالحديث الشريف: «من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس اللّٰه عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسرٍ يسر اللّٰه عليه في الدنيا والآخرة..» رواه مسلم..

فنزلت كلماتها على قلبي كالماء الزلال والقطر الندي الذي مزج بماء اليقين والتوكل على رب العالمين، وتراءت لي قسمات وجهها المشرق بالإيمان وبكل معاني التضحية والإيثار فكانت نعم المعين ونعم النصير أمام تحديات الهوى والنفس والشيطان.



وفي اليوم التالي حولت شيكاً بالمبلغ المطلوب لوالدي الذي لم يكن على علم بظروفي وما كنت أخطط له مع زوجتي، ولم يكن المبلغ المتاح لدي يفي بالغرض مما اضطرني إلى الاقتراض من أحد الأصدقاء، الذي ما أن فاتحته بالأمر حتى بادرني بالقول:

«عمر.. الله يحبك..!.. فقد استلمت صباح اليوم شيكا من صديق وفاءاً لدين لي عليه» وقام بتحويل الشيك باسمي مباشرة.



عندها قمنا بشراء البيت الجديد، وما إن انتقل والداي إلى بيت الروضة حتى عمتهما فرحة لا توصف وشعر أبي بارتياح بالغ حين وجد ضالته المنشودة وكانت هذه السعادة تخفف عني كل هموم الديون التي تراكمت علي بعد ذلك.

وكنت فيما مضى قد أعطيت والدي أول راتبين تسلمتهما من العمل دون أن أخذ منهما فلسا واحداً حتى بكى أبي يومها متأثراً بهذا الموقف، وحاول أن يرد علي بعض المال، إلا أنني أبيت وأقسمت عليه أن يأخذ راتبي كاملاً».

ومنذ ذلك الحين بدأت الأزمة المالية تحيط بي إحاطة البحار بالجزر.

فراتبي لا يتجاوز ١١٠٠ دينار أنفق منه نحو ألف دينار شهرياً لسداد ديوني ولا يبقى لي ولأسرتي المكونة من خمسة أفراد سوى مائة دينار! وضاق بنا الحال واشتد بنا الخطب دون أن يعلم والدي من معاناة أسرتي شيئاً.

كان الجو يومها قارساً.. قاسياً.. شديد البرودة.

فاشتريت بما بقي عندي من مال أجهزة تدفئة، وذقنا مرارة الحرمان والعوز والفاقة ومرت بنا محنة لا يعلم مداها غير ربي، وتحملت زوجتي ظروفاً قاهرة، وأياماً عصيبة ولم نعرف لأعياد الفطر والأضحى طعماً ولا لوناً سنتين متتاليتين واضطرت زوجتي الوفية إلى بيع بعض ما تقتنيه من ذهب ومجوهرات.

كانت سنوات عجاف فرضت علينا سياسة إنفاق صارمة وكان الجاهل بأحوالنا يحسبنا أغنياء من التعفف، وقلت لامرأتي: **«اصبري واحتسبي... فإن مع العسر يسرا، وأنا على يقين بأن الله سبحانه وتعالى سيجعل لنا من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وسيرزقنا بإذنه عز وجل من حيث لا نحتسب».**

كان يقيني بالله يقيني من اليأس والقنوط، وكنت أتشبث بقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود: ٨١، وأتذكر قول العرب: «إذا اشتد الحبل انقطع!» فكنت أنظر إلى الصباح وارتقب الفتح من الفتّاح، وتعلقت بالحديث الصحيح: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)..

لذا، كنت أشكو بثي وحزني إلى الله، واتجه إليه بالدعاء والرجاء بأن يفرج عنا ما نحن فيه من كرب وبلاء وضيق وشقاء حتى جاءت لحظة الفرج لننتقل من ضيق الديون إلى سعة الدنيا، ومن البأساء والضراء إلى الرخاء والثراء.. كيف حدث هذا؟ هنا العجب!

ففي أحد الأيام من عام ١٩٨٧م جلست في ديوانية أحد الأصدقاء واسمه (نادر) نتجاذب أطراف الحديث فقال لي: «عمر.. ألا تعرف شخصاً لديه استعداد أن يبادلني ويأخذ بيتي حتى آخذ القرض الإسكاني؟».

قلت له بعفوية: «كيف؟ فأنا لم أفهم سؤالك!».

فقال: «لقد خصصت لي الحكومة العام الماضي بيتاً في منطقة (صباح السالم)، وقد ورثت مع أخواني قطعة أرض في منطقة أخرى ونرغب ببناء بيوتنا مع بعض، والقانون لا يسمح لي بأخذ قرض إسكاني مادام عندي بيت مسجل باسمي، فهل تعرف أحد مستعد أن يحل محلي ويأخذ بيتي على أن يتحمل بقية الأقساط الشهرية للدولة فأنا بحاجة للقرض لا للبيت؟ وبالمناسبة بيتي في موقع ممتاز ومساحته ٥٠٠ متر مربع وأمامه ارتداد كبير يسمح بإقامة حديقة أمامه..».

لم أستوعب الموضوع منذ الوهلة.. فكيف أقبل هذا العرض والديون تحيط بي كسوار المعصم؟ فاعتذرت بلطف لصديقي وقلت له: «إن ظروفي الحالية لا تسمح لي بتحمل أية التزامات مالية، ولكن دعني أسأل نسيبي فهو يبحث عن بيت هذه الأيام».

هنا تدخل أحد الجالسين وقال لي: «عمر، ألم تفهم بعد؟.. الرجل يعرض البيت عليك أنت لا على أحد سواك، فهو يريده لك أنت.. وللعلم: فالبيت يستحق من بنك التسليف قرض ترميم قيمته عشرة الآف دينار..

حاولت أن أثني صاحبي عن هذه الفكرة الخيالية بالنسبة لي، وطلبت منه أن يعرض البيت على المكاتب العقارية في السوق، فرفض بشدة وأصرّ وأقسم على أن يكون البيت لي وكأن أمراً إلهياً صدر باختياري شخصياً لامتلاك هذا البيت، فقلت: «أمهلني لأفكر في الموضوع».

يواصل عمر حديثه فيقول: «ثم خرجت من الديوانية هائماً على وجهي، وعشرات الأسئلة تدور في رأسي: هل يعقل هذا؟.. هل يمكن أن أحل محل صديقي (نادر) بهذه السهولة، وأتحمل أقساط البنك الشهرية بعد أن يتنازل هو عن بيته؟!..



وأدرت محرك سيارتي وتحركت دون أن أحدد وجهتي، فقد سرح بي الخيال كثيراً في الموضوع، وجعلت أفكر ملياً فيما أشار علي صاحبي.. ولا أدري كيف وصلت إلى شقتي المتواضعة! وعرضت الأمر على زوجتي، فقابلت استغرابي باستغراب أشد لهذه المفاجأة العجيبة.

ثم قلت لها بشيء من التندر: «أعلم أن الفكرة ضربٌ من الخيال، ولكن ما رأيك أن نذهب سوياً لرؤية البيت الذي نزل علينا من السماء، فلن نخسر شيئاً؟».

يضيف عمر قائلاً: «وبعد زيارة البيت ومعاينة الموقع شعرنا بجدية الموضوع، وقررنا الموافقة على العرض النادر من صديقي (نادر) وليكن ما يكون! وفعلاً تم تسجيل البيت باسمي، واستلمت قرض الترميم، وكنت في ذلك الوقت قد سددت معظم ديوني وبدأت بترميم وإصلاح البيت وسكنت مع أسرتي فيه نهاية عام ١٩٨٨م ولمدة عامين، حتى غزو الكويت عام ١٩٩٠م.



وبعد تحرير البلاد أمر سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد ـ رحمه الله بإسقاط القروض الإسكانية عن المواطنين، فصار البيت ملكاً لي رسمياً، وتسلمت وثيقته من الجهات المختصة، ثم قمت ببيعه بسعر ١٣٥ ألف دينار كويتي واشتريت بثمنه بيتاً أحدث وأجمل منه في منطقة قريبة من بيت والدي، وكان سعر المتر المربع فيها أرخص من المنطقة التي كنت فيها!..

أي أنني امتلكت بيتاً جديداً مجاناً، أو لنقل: بألفي دينار وهي قيمة الأقساط الشهرية التي قد دفعتها لبنك التسليف قبل الغزو!!.

ومنذ ذلك اليوم تبددت غيوم الأزمة وانقشع ضباب الديون، ورفع البلاء وعمَّ الرخاء، وزاولت نشاطا تجارياً فتح لي أبواب الرزق من حيث لم أحتسب وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سبأ: ٣٩ ، فقد أخلفني خير مما أخذ مني، وصدق نبي الرحمة ﷺ حين قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً) رواه مسلم.

ولله الحمد والمنة.





ما أحلى هذه المكالمة..!!

أهل مكة أدرى بشعابها.. ولكن: كيف بشعاب أمريكا؟ كيف الخروج من دروبها ومتاهاتها؟.. كيف بهذا المحيط الهادر، الصاخب بكل ألوان الضوضاء التي تصدرها القطارات والطائرات والحافلات والسيارات وهي تقل أمواج البشر في حركة دؤوب بين المعامل والمساكن، والمزارع والمصانع في دوامة لا تهدأ.. وضجيج يتساوى عنده الليل والنهار، فناطحات السحاب الشاهقة تحجب ضوء الشمس، والناس لا تعبأ بالناس.. فكيف بالغريب إذا وقف على قارعة الطريق لا يدري من يسأل، وكيف يسأل!!



كان ذلك شعور صديقنا العزيز (عبدالمحسن الصالح) الذي حدثني عن قصته العجيبة مع الدعاء فقال:

« ما إن وطأت قدماي الولايات المتحدة الأمريكية أنا وصديقي عبدالرحمن حتى شعرنا كأننا سمكة زينة ألقي بها في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب.

تسمرنا فور خروجنا من المطار حين اكتشفنا إننا فقدنا بعض الأوراق الرسمية ومن بينها دليل الهواتف وعنوان الجامعة ومكان السكن..

فقد كنا في مقتبل العمر ولأول مرة نسافر إلى أمريكا ونحن لا نتقن لغة القوم..
فتوجسنا خيفة وانتابنا القلق والتوتر.
وجلسنا على الرصيف نفكر في هذه المصيبة التي حلت بنا فور خروجنا من المطار،
فقد ضاعت منا أوراق الضمان الصحي وهواتف السفارة الكويتية في واشنطن..

والتفت إليّ صاحبي بوجه شاحب وقال: « عبدالمحسن، ما العمل؟ ماذا نفعل الآن؟ وأين نذهب؟ ».



حـــاولـــت أن أخـــفـــي مـظـاهـر الأضـطـراب والقلق وأن أتصدى لـعـشـرات الأسـئـلـة الـتـي تحلق أمامي كالفراش المبثوث فقلت له: لنترك الخلق ولنتجه للخالق فهو القائل وقـولـه حـق: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه؟» فيهدي الضال ويفرج عن المكروب، وهو القائل سبحانه «ادعوني استجب لكم» فتعال نلهج بذكر من بيده خـزائـن الـسـمـاوات والأرض، ونهتف باسمه ونطلب منه المدد ونلزم بابه ونرقب لطفه ونتبتل إلـيـه تبتيلا حـتـى يـفـرج عنا كربنا، خاصة وأننا على سفر وهو من مواطن إجابة الدعاء.

وبدأنا بالدعاء والتضرع بحرارة وصدق للخروج من هذه المحنة وأن يهدينا سواء السبيل، ولم يقطع حبل المناجاة إلا صوت الهاتف العمومي بجوارنا الذي لم يجبه أحد.

مما اضطر صديقي عبدالرحمن إلى دخول كابينة الهاتف والـرد على المكالمة وكانت المفاجأة التي لم نحسب لها حساب!



فقد تحدث الطرف الآخر من الهاتف بلغة انكليزية وقال: «من معي، السيد..؟» . وذكر اسماً عربياً..

فقال له عبدالرحمن: لا، ولكن من المتحدث؟!
فكان الرد العجيب: «معك السفارة الكويتية..!».
لم يصدق عبدالرحمن سمعه، فأعاد السؤال أكثر حدة: «من معي لو سمحت؟».

فكرر المتحدث الجواب: «يا أخي معك السفارة الكويتية، ألم تسمعني؟ فنحن على موعد مع (فلان) الذي يفترض أنه وصل لتوه من الكويت وطلبنا منه أن ينتظر في هذا الوقت ويرد على الهاتف العمومي لنزوده ببعض المعلومات والعناوين.. ولكن من أنت؟».

رد صديقي بكلمة واحدة وقال: «لا إله إلا الله.. آمنت بالله وبأنه سميع مجيب، وأنه بعباده رؤوف رحيم.. ما أحلى هذه المكالمة..!».



ثم شرح له مشكلتنا والظروف التي مرت بنا قبل ساعتين وما اعترانا من هم وقلق بسبب الضياع، فما كان من مسؤول السفارة إلا أن ضحك لهذا القدر العجيب وقال: «لو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد»... ثم طمأننا وأرشدنا إلى العنوان الصحيح، وأبدى استعداده لاستقبالنا بمجرد وصولنا إليه ليباشر مهامه تجاهنا كطلبة بعثة قدموا للدراسة ومواصلة تحصيلهم العلمي.

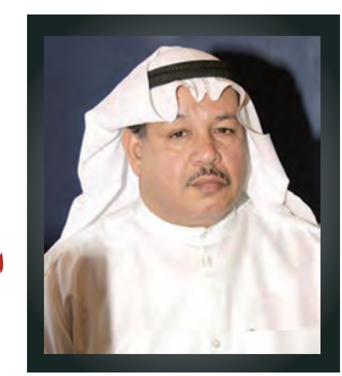
وفي طريقنا إلى السكن، ثارت في مخيلتي عشرات الأسئلة: من الذي أتى بنا إلى هذا الهاتف وفي هذا الوقت بالذات؟ وما الذي حدا بنا للرد على المكالمة؟.. بل من الذي أمر هذا المسؤول بإجراء المكالمة في هذا الوقت والمكان؟

كل هذه الأسئلة انهارت أمام إجابة ربانية واحدة: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ وصدق المولى جل وعلا.





مكافأة تنتظرني في المطار!



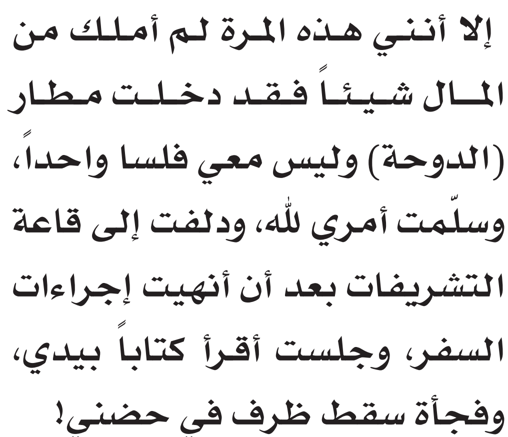
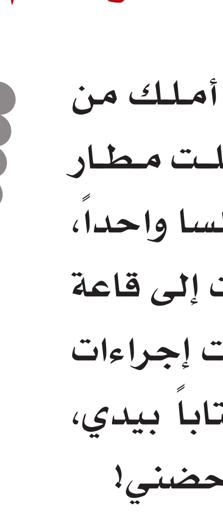
الدكتور
إبراهيم الخليفي



(حب الخير للغير) سمة الأتقياء الذين أتقنوا رسم السعادة والفرح في وجوه الناس ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فهم كالنحلة تأكل طيباً، وتضع طيباً، وإذا وقعت على عود لم تكسره.

والحادثة التالية تقدم لنا نموذجاً لهذا المعنى: يقول الدكتور إبراهيم الخليفي: أجرى تلفزيون قطر معي لقاءاً على الهواء في برنامج حواري ثم خرجت من الأستوديو وتوجهت مباشرة إلى المطار، وأثناء الطريق تبادلت الأحاديث الودية مع السائق المخصص لي من قبل التلفزيون، فتبين لي أنه فقير ومحتاج إلى المساعدة، فأعطيته كل ما بقي معي من مال.. فقد كان يعاني من أوضاع مالية صعبة.

وكان من عادتي ألا أعود من السفر خالي الوفاض، فلابد من هدية للزوجة والأولاد، حتى لو اضطررت أن أشتريها من السوق الحرة بالمطار، امتثالاً لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «تهادوا تحابوا».

إلا أنني هذه المرة لم أملك من المال شيئاً فقد دخلت مطار (الدوحة) وليس معي فلسا واحداً، وسلّمت أمري لله، ودلفت إلى قاعة التشريفات بعد أن أنهيت إجراءات السفر، وجلست أقرأ كتاباً بيدي، وفجأة سقط ظرف في حضني!

فرفعت رأسي وإذا بصديقي الدكتور حمود القشعان يبتسم وهو يشير إلى الظرف ويقول: «هذه مكافأتك من تلفزيون قطر! إذ بعد مغادرتك استديو التلفزيون خاطبني أحد المسؤولين هناك وقال: هذه مكافأة مالية لك ولصاحبك الدكتور إبراهيم الخليفي، إلا أنه غادر دون أن نشعر به».

وسلمني الظرف وبه ٣٠٠٠ ريال، فشكرت الواهب والمنعم الذي تفضل علي وأخلفني الصدقة قبل أن أصل إلى بلدي.. الكويت، وقمت بشراء الهدايا كما هي عادتي ولم أرجع خائباً، فقد أكرمني ربي بعطاء لم أحسب له حساب.

21 مكافأة .. تنتظرني في المطار!



سمعت هذه الرواية وتذكرت ما قاله د. عائض القرني في كتابه (لا تحزن) تحت عنوان: (الإحسان إلى الغير انشراح للصدر):

الجميل كأسمه، والمعروف كرسمه، والخير كطعمه، أول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الإسعاد، يجنون ثمرته عاجلاً في نفوسهم وأخلاقهم، وضمائرهم، فيجدون الانشراح والانبساط، والهدوء والسكينة.

فإذا طاف بك طائفٌ من هم أو ألمّ بك غمٌ فامنح غيرك معروفاً، وأسد له جميلاً، تجد الفرج والراحة.. أعط محروماً.. انصر مظلوما.. أنقذ مكروبا.. أطعم جائعاً.. عد مريضاً..

أعن منكوبا.. تجد السعادة تغمرك من بين يديك ومن خلفك. إن فعل الخير كالطيب ينفع حامله وبائعه ومشتريه، وعوائد الخير النفسية عقاقير مباركة تصرف في صيدلية الذين عمرت قلوبهم بالبر والإحسان.

إن توزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق صدقة جارية في عالم القيم «ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»..

وإن عبوس الوجه إعلان حرب ضروس على الآخرين لا يعلم قيامها إلاّ علاّم الغيوب.

شربة ماء من كف بغي لكلب عقور أثمرت دخول جنة عرضها السموات والأرض، لأن صاحب الثواب غفور شكور جميل، يحب الجميل، غني حميد.



يا من تهدّدهم كوابيس الشقاء والفزع والخوف هلموا إلى بستان المعروف وتشاغلوا بالغير، عطاء وضيافة ومواساة وإعانة وخدمة وستجدون السعادة طعماً ولونا وذوقاً ﴿ وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) ﴾ الليل: ١٩ - ٢١ . انتهى كلامه ..

خبز للشيخ حسن طنون

حين وقع الغزو العراقي على الكويت عام ١٩٩٠م عزمت أسرة الشيخ حسن طنون رحمه الله على مغادرة البلاد لانعدام الأمن والخوف من المستقبل المجهول وعدم القدرة على البقاء في بلد يرزح تحت الاحتلال ، إلا أن الأسرة تفاجأت بموقف الشيخ الذي قال : البلد التي عشت بها في أوقات الرخاء لا يمكن أن أتركها في أوقات الشدة وسأبقي بإذن الله هنا حتى تنقشع هذه الكارثة التي حلت بنا، وعبثاً حاول أبناؤه اقناعه باستحالة المكث في الكويت خاصة وأن الشيخ يعاني من الشلل النصفي ومن أمراض مزمنة تتطلب رعاية خاصة وتوفير أدوية بشكل مستمر لكن الشيخ حسن أصر على موقفه وعلى تمسكه بالمبدأ مما اضطر الأسرة للمغادرة دونه بعد أن إطمأنت من وجود من يرعاه حيث تكفل اثنان من الشباب الكويتي بملازمة الشيخ الذي يسكن في ملحق متواضع بمنطقة الفيحاء، وعكف الشابين عبد الرحمن الزامل وبراء الرومي على مباشرة الشيخ حسن طنون وخدمته والتناوب على السهر معه طوال الليل رغم الظروف القاسية وحالة القلق والخوف التي سادت البلاد بسبب الاحتلال .

وكان الانتقال من مساكنهم لملحق الشيخ يشكل خطراً كبيراً ..

حيث نقاط التفتيش والسيطرة العـراقـيـة المـنـتـشـرة فـي كل مكان والتي يمكنها اعتقال أي شـخـص لمـجـرد الاشـتـبـاه بـه ، لكن الأخوين عزما على المضي قـدماُ فـي مهمتهما الإنسانية وواجبهم الإسلامي تجاه الشيخ المقعد واستمر الأمـر على هذا الحال فترة طويلة كانا خلالها يستمعان ويستمتعان بخواطر الـشـيـخ الإيمـانـيـة و دروسـه الوعظية حيث كان قبل عقدين من الزمان يخطب في مساجد الكويت ...



ومما قاله الشيخ حسن لمن حضر مجلسه : أبشروا يا أهل الكويت بالفرج والنصر والتمكين فو الله لن يضيعكم الله أبدأ فأنتم أهل الخير والإحسان والمعروف وأياديكم البيضاء وتبرعاتكم السخية وصلت مشارق الأرض ومغاربها وصدقات السر تقي مصارع السوء وما حدث لكم إنما هو فتنه تأديب لا تعذيب ولو كانت كذلك لأهلك الله الأرض ومن عليها كما أهلك القرون الكافرة من قبل ، وعندي يقين وإحساس أكيد بأن هذه البلاد ستعود لأهلها بإذن الله وأن هذه الغمة ستكشف بإذن الله عاجلاً أم أجلاً.





... نزلت كلمات الشيخ على قلوب وأسماع الشباب كالماء الزلال الذي يحيي الأرض بعد موتها ، ويعيد لها الصفاء والنقاء وينزع عنها أدران الهم والغم ... فكانت كلماته كالقطر الندي المنساب على الأغـصان الجافة فيعيد لها بشرتها ونضارتها وحيويتها وحياتها.

يقول عبد الرحمن :

كنت في أحد الأيام أبحث عن خبز للشيخ حسن رحمه الله لأعد فطوره ولم أعثر في المطبخ على أي شيء يصلح لطعامه سوي الحليب فدعوت اللّه أن يفرج همنا وأن يرزقنا من حيث لا نحتسب طعاماً للشيخ وقلت في نفسي (ياللّه عليك توكلت انك ترزقني خبز للشيخ حسن .....)

وما هي إلا دقائق حتى طرق الباب بقوة ، فسألت من بالباب ؟ قال : أنا (الحبابي) وهو مؤذن مسجد الفارس القريب منا ، فتحت الباب وإذا به يحمل كيساً كبيراً وقال : خذ هذا الخبز لكم أنتم والشيخ فتحت الكيس فإذا به ٢٧ خبزه !! .

دمعت عيناي فرحاً بسرعة إجابة الدعاء وقلت: (يا كريم .. طلبت خبزه فرزقتني ٢٧ خبزه) وكأنها أجر المصلي في المسجد الذي ينال ٢٧ درجة عمن يصلي في بيته ...

وكان التجول وقتها ممنوع في شوارع الكويت.. لكن الحظر لم يشمل الدعاء الذي بلغ عنان السماء يستنزل الرحمات والأرزاق من رب الأرض والسماء سبحانه وتعالى ..

حقاً من يتوكل على الله كفاه ، ومن يتقي الله وقاه ... ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ... سبحانك إياك نعبد وإياك نستعين ....

تذكرت كلمة الشيخ
عبد العزيز بن باز رحمه الله
الذي قال : والله ما دعوت بهذا الدعاء (حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله إنا إلى الله راغبون) بعد التشهد الأخير في أمر عسير إلا تيسر.

ويقول الشيخ المغامسي عن هذا الدعاء: إنه دعاء المعجزات والله ما دعوت الله به بصدق وأنت في مأزق إلا وجاء الفرج من حيث لا تعلم بإذن الله تعالي ... تعلموه وعلموه غيركم .



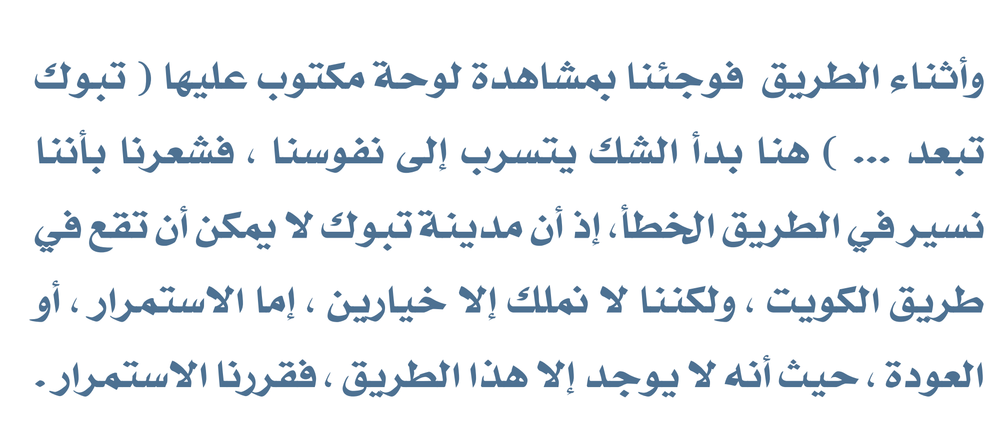
واستمع لدعائنا في وسط الضياع



حدثنا الشيخ / عبد الحميد جاسم البلالي هذه القصة التي حدثت له فقال: في صيف عام ١٩٧٨ كنت في المدينة المنورة برفقة الأخ الفاضل أنور السليم ، وكان طريق المدينة الكويت جديداً ، يختصر الكثير من المسافة عن الطريق القديم ، فاجتهدنا للوصول له ، وانطلقنا بعد الفجر ، وقطعنا مسافة كبيرة، ولكننا كنا نرى مناطق لأول مرة نراها، وكنا نقنع أنفسنا بأنه ربما بسبب الطريق الجديد جاءت هذه المناطق، مما جعلنا نستمر دون توقف .



وأثناء الطريق فوجئنا بمشاهدة لوحة مكتوب عليها (تبوك تبعد ...) هنا بدأ الشك يتسرب إلى نفوسنا ، فشعرنا بأننا نسير في الطريق الخطأ، إذ أن مدينة تبوك لا يمكن أن تقع في طريق الكويت ، ولكننا لا نملك إلا خيارين ، إما الاستمرار ، أو العودة ، حيث أنه لا يوجد إلا هذا الطريق ، فقررنا الاستمرار.



نفد البنزين :

وبعد مسافة ليست بالقليلة من تبوك ، وإذا بنا نرى لافته أخرى كتب عليها (مدينة تيماء) ، بعدها تأكدنا أننا على حدود الشام ، وانقطعت جميع محطات الوقود ، وبدأ البنزين بالتناقص، وعلى أمل أن نرى محطة ، ولكن الطريق مقطوع ولا توجد فيه أية آثار لمحطة ، قال لي صاحبي أنور ، لا حل إلا بالذهاب إلى مضارب البدو فإنهم يحتفظون بالبنزين في خيامهم ، فانعطفنا داخل الصحراء ، حتى وصلنا إلى أحد مضارب البدو ، وسألنا عن البنزين فأعطونا ما ملأنا به السيارة .



واستمع لدعائنا في وسط الضياع



الطريق الصحراوي :

سألنا البدو عن الطريق إلى الكويت فدلونا عن طريق يقطع الصحراء ليوصلنا إلى الطريق الرئيسي الذي يوصلنا إلى منطقة القصيم ثم الكويت ، فسلكنا ذلك الطريق البري ، وفي منتصف الطريق غرزت السيارة في بعض كثبان الرمل ، حاول الأخ أنور عدة مرات ، ولكن العجلات كانت تغوص أكثر في الرمل ، ونزلنا من السيارة وحاولنا الحفر تحت العجلات، ووضع بعض الأحجار ، ثم دفعها من الخلف عدة محاولات ، كلها باءت بالفشل ، وخارت قوانا ونحن نحاول ، وكان والوقت قريبا من المغرب .

فخشينا أن يخيم علينا الظلام ، ونحن في وسط الصحراء ، ولا يعلم بنا أحد إلا اللّٰه.



جاء الفرج بالدعاء :

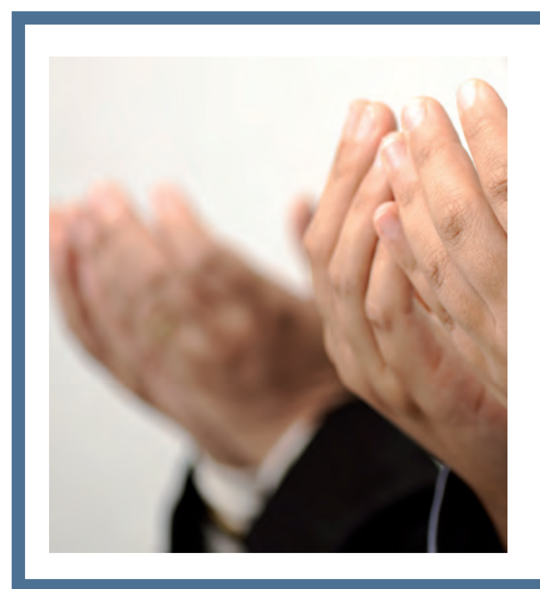
قلت لصاحبي ما لنا إلا الدعاء ، وبدأنا ندعو ونبتهل إلى اللّٰه أن يفرج عنا كربتنا، وما هي إلا دقائق حتى جاء الفرج ، إذا بنا نشاهد تنكر ماء من بعيد بالرغم أن الطريق يبدو مقطوعاً، فأخذنا أغطية رؤوسنا (الغترة) وبدأنا نلوح له بها، وهو غير منتبه، وبدأنا مع التلويح بالصراخ، وبفضل اللّٰه تعالى لمحنا من بعيد، فاتجه نحونا ، وكان رجلاً



شهماً ، ترجل من التنكر، وربط سيارتنا بحبل ثم سحبها فخرجت من الرمال، ثم طلب منا متابعته حتى أوصلنا إلى الشارع الرئيسي ، فشكرناه على ذلك، وإذا بنا على حدود الشام ، فسلكنا الطريق إلى القصيم ، وهنا تذكرنا فضل الله علينا ، ورحمته بنا ، وتذكرنا قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ النمل : ٦٢

موعظة وموقف يغني عن آلاف المواعظ ، وممارسة عملية للإيمان بقدرة الله تعالى والثقة به .

انتهي حديث الشيخ عبد الحميد البلالي وفي هذه القصة الكثير من العبر ، منها أن الله سبحانه وتعالي يمتن بفضله ورحمته إذا انقطعت السبل على من يسأله الفرج ، وأن الإنسان لابد أن يبذل جميع الأسباب التي يستطيع فعلها، دون أن يعتمد عليها، ثم يتجه إلى الله لطلب العون، مع كامل ثقته بكشف الضر، وتفريج الكرب، واللجوء إليه في اليسر والعسر، وتطبيقاً للحديث: » إعقلها وتوكل ...«





كسبت ٢٥ ألفاً

وقصة أخرى عجيبة يرويها لي صديقي العزيز خالد الرّيس: كنت قد عملت موظفا في إحدى مؤسسات الدولة ، ورزقني الله وظيفة خيرا منها، فقدمت استقالتي وأخذت مستحقاتي كاملة من مؤسسة التأمينات الاجتماعية وكانت حوالي ٢٢ ألف دينار كويتي.



وسعيا لتحسين دخلي ، قررت وضع المبلغ كاملا في سوق الأوراق المالية ، وفي بادئ الأمر، رزقني اللّٰه رزقا حسنا وفرحت بالأرباح والمكاسب السريعة التي تحققت ، ولكن كل شئ تبخر في أيام معدودات وخسرت مالي كله ومثله معه مما اضطرني للإقتراض من المؤسسات المالية الإسلامية وأصبحت مديناً بمبلغ قدره حوالي ٢٢ ألف دينار!.

حمدت اللّٰه وعلمت أن هذا من البلاء في المال الذي أخبرنا عنه اللّٰه في كتابه العزيز وتوجهت إليه بالدعاء قائلا: «اللهم أقض عني ديني».



وكنت أدعو بهذا الدعاء في سجودي وخلال سفري وصيامي وفي الثلث الأخير من الليل وغير ذلك من الأوقات التي ترجي فيها استجابة الدعاء، موقنا بأن قاضي الحاجات وسميع الدعاء ومجيبه سيستجيب سبحانه ، ولكن كيف ومتى، فهذا علمه عند الله وحده .



وبعد بضعة أشهر، أتاني عرض من القطاع الخاص أفضل بكثير من وظيفتي الجديدة ، فرأيت أن أقدم إجازة من عملي في القطاع الحكومي من غير راتب خلال فترة عملي التجريبية في القطاع الخاص، وعندما فاتحت مديري برغبتي هذه شجعني قائلا: " خذ ما تحتاج من الوقت في الشركة الجديدة، ولكن إن كنت تاركاً العمل لدينا لا محالة ، فلا تستقل إلا بعد أن تأخذ مخصصاتك" .

قلت : وأي مخصصات هذه ولم يمض على عملي عندكم سوى سنة ونصف؟ قال : هذا عرض خاص تقوم الإدارة العليا بعرضه على بعض الموظفين كل كذا سنة ليتركوا العمل ويفسحوا المجال لغيرهم ، ولهم أن يأخذوه أو يرفضوه ..

قلت: وكم المبلغ يا أبا أحمد؟ ... قال : ٢٥ ألف دينار !.

لا إله إلا اللّٰه ! آمنت بأن وعدك حق يا مولاي عندما قلت سبحانك .

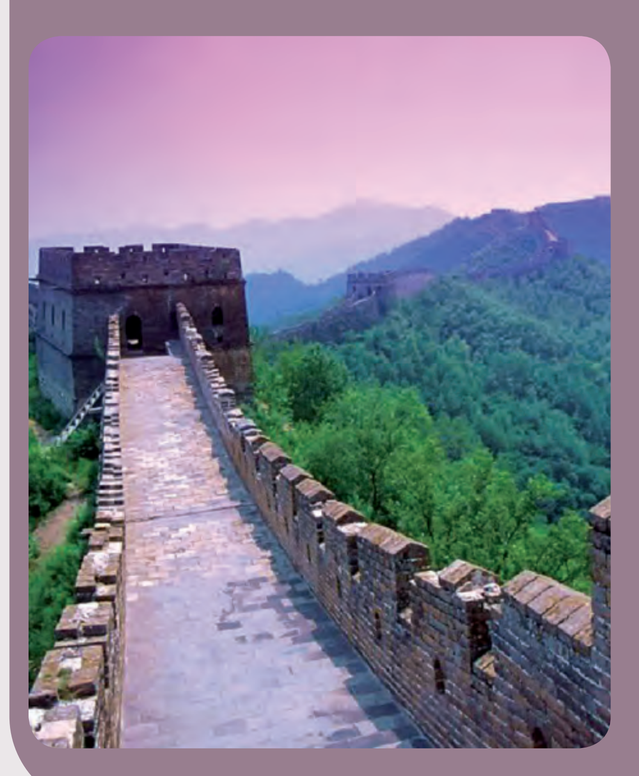
﴿ أدعوني أستجب لكم ﴾ .



وها أنت ذا قد استجبت لي بعد حين ، وبأكثر من الدين الذي كان أثقل كاهلي " ! فلك الحمد كله يا خير الرازقين ، يا سميع الدعاء ومجيبه ، يا من يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين ، يا خير وأكرم من سئل وخير وأكرم من أعطي ، والحمد للّٰه رب العالمين .



تزوجت صينية

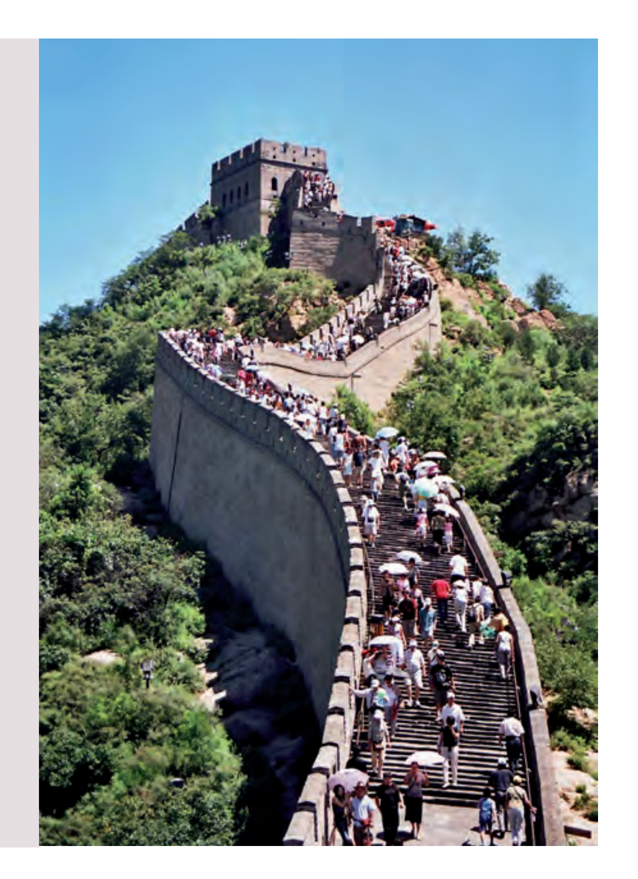


كان أحد الأخوة يرغب بالزواج ، وكانت رغبته أن يتزوج من الشرق الأقصى (اليابان، الصين، كوريا) لما سمع عن خلقهن وحسن معاملتهن لأزواجهن، وكونه رجلاً متديناً، وكون معظم أهل هذه الديار ليسوا من أهل الكتاب، فإن الزواج بهن غير جائز شرعا، فأخذ أخونا هذا يدعو اللّه أن يرزقه زوجة مسلمة وأن يأتيه بها إلى بلده لأنه لم يكن قادراً على السفر إلى بلادهم .



وبعد .. بضعة أشهر ، وبينا هو جالس في إحدى المجالس ، إذ سمع أحد الجالسين .

يتحدث بالهاتف يقول لأحدهم : " تقول إن هذه الأخت الصينية أسلمت لتوها وأنها جميلة وموجودة في لجنة التعريف بالإسلام وتبحثون لها عن زوج ؟ .



التفت أخونا إلى صاحبه وقال له مقاطعاً :

ها أنا ذا .. ها أنا ذا! .

سبحان اللّٰه ، وما هي إلا حوالي ١٠ أيام، إلا وكان عقد القرآن قد تم وجمع اللّٰه بينهما على خير.

واللّٰه إن لذة الدعاة ولذة الإجابة لا تعدلها لذة لمن استشعر ذلك ومنَّ اللّٰه عليه بهذه النعمة العظيمة ، التي هي مخ العبادة .

قصص واقعية من الأولين

يـروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم، فأرسل إلى قائد البحر وقال له: «أنفذ الآن مركبا إلى أفريقية يأتوني بأخبارها».

فأنفذ القائد أمر السلطان، وفي الصباح وجد المركب الذي أنفذه راسياً كأنه لم يبرح مكانه، فسأل الربان عن خبره، فحكى له حكاية عجيبة، فأحضره إلى السلطان ليسمع منه تلك الحكاية





الغريبة، فقال ربان السفينة للملك:

«ذهبت بالمركب كما أمرت، فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون إذا بصوت يقول: «يا الله، يا الله، يا غياث المستغيثين، ويكررها مرارا..

فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه:

«لبيك.. لبيك يا عبدالله.. فاتجهنا بالمركبة نحو الصوت فوجدنا رجلا غريقاً في آخر رمق من الحياة، فأنقذناه وسألنا عن حاله فقال: كنا مقلعين من أفريقية، فغرقت سفينتنا ومن فيها، وبقيت وحدي أصيح مستغيثا بالله حتى أتاني الغوث من قبلكم».

قال الأبشيهي: فسبحان من أسهر السلطان وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه برحمته من ظلمات الهلاك.



وروى الشيخ علي الطنطاويالحكاية التالية التي خرجت وحكاية سلطان صقلية المذكورة من مشكاة واحدة. يقول الشيخ علي الطنطاوي غفر الله لنا وله:

«كان من عادتنا في الشام السمر بعد صلاة التراويح مع جماعة من العلماء والأدباء قريبا من السحور، وفي ليلة من تلك الليالي أحسست بضيق عظيم اضطرني إلى ترك جلسائي والرجوع إلى بيتي، ولم أبال برغبة إخواني في البقاء كعادتي.

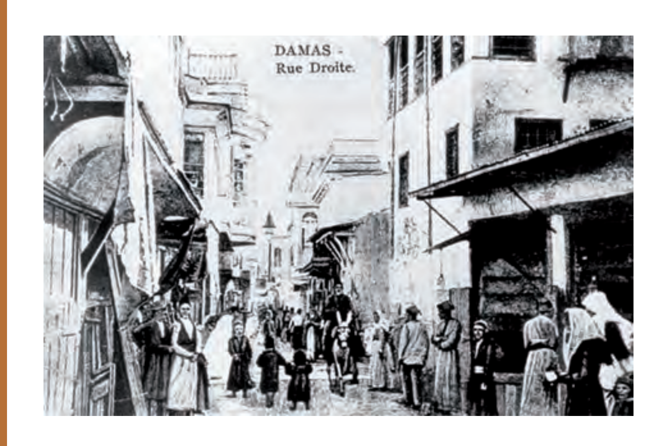
وخرجت متوكلا على الله دون أن أعرف سر تلك الكآبة المفاجئة التي ألمّت بي، ولم أمش طويلاً حتى رأيت إمرأة في مقتبل الشباب تبكي وتنتحب وتحمل بين يديها طفلاً رضيعاً، فاستوقفتها وسألتها عن

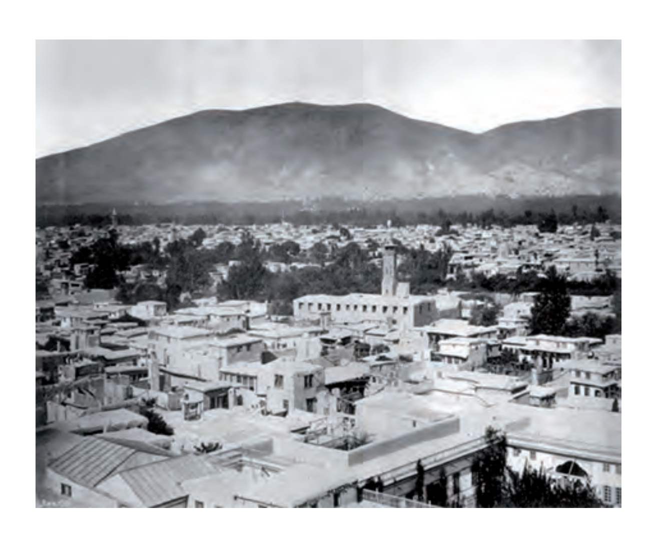


حالها وما يبكيها، فشكت إلي قسوة زوجها وسوء معاملته وطرده لها من منزلها في هذه الساعة من الليل!!

فقلت لها: اذهبي في الصباح إلى القاضي لعله ينصفك منه بإذن الله.

فقالت المسكينة: وأنّى لمثلي أن تبلغ صوتها إلى القاضي؟ .





فقال لها: «أنا القاضي يا أختاه، وهذه ورقة مني، فأتيني غدا أنصفك إن شاء اللّه».

وكان الشيخ الطنطاوي يعمل في ذلك الزمان قاضيا شرعيا في دمشق، واشتهر بعدله وإنصافه وحكمته في حل مشاكل الأسر فجزاه اللّه خيرا.

والشاهد في الحكاية موافقتها لما روى سلطان صقلية في تسخير اللّه لكل منهما للتحرك رغما عنهما لإنقاذ من أراد اللّه له النجاة أو النصرة.

وصدق اللّه العظيم: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ النمل .

من كتاب : لا يرد القضاء إلا الدعاء - لمؤلفه محمد سلامة جبر.




الفصل الثاني
2
فضل الدعاء



للدعاء مكانة سامية ومنزلة عالية، فهو من أجلّ العبادات وأعظم الطاعات وأنفع القربات، وبه افتتح الرب جل وعلا كتابه الكريم، وبه اختتم قرآنه المجيد.

فسورة (الحمد) مشتملة على دعاء اللّه بأجلّ المطالب وأكمل المقاصد، وهو سؤاله سبحانه وتعالى الهداية إلى الصراط المستقيم والاستعانة به على العبادة....

وسورة (الناس) وهي خاتمة القرآن اشتملت على دعاء المولى عز وجل والاستعاذة به من شرور الوسواس الخناس، وما من ريب أن الافتتاح والاختتام بالدعاء دليل على عظم شأن الدعاء وأنه روح العبادات ولُبّها، وأنه عنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الرب، وإظهار الافتقار إليه. (١)

بل إن ترك الدعاء يعد شكلاً من أشكال الاستكبار المذموم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠ فوصف سبحانه الدعاء بالعبادة كما

(١) فقه الأدعية والأذكار / لعبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

فضل الدعاء

جاء في حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ الآية.

ومما جاء في فضل الدعاء ما رواه سلمان الفارسي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يرَدُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِرُّ» (١).

فالدعاء يدفع القضاء، إذ أن الله سبحانه قد يقضي بالأمر على عبده قضاءً مقيداً بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه».

قال الأمام الشوكاني: فيه - أي الحديث المذكور - دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الرعد: ٣٩ ثم قال رحمه الله: «والحاصل أن الدعاء من قدر الله عز وجل، فقد يقضي الله بشئ على عبده قضاء مقيدا بأن لا يدعوه، فإن دعاه اندفع عنه» (٢).

وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة» .

فالقَدَر أقوى من الحَذَر، والدعاء أقوى من القدر.. بل هو من القدر.

(١) رواه الترمذي وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٤).

(٢) تحفة الذاكرين / ص: ٢٠ .

غضب المخلوق وغضب الخالق

والعجيب أن المخلوق يغضب ممن يسأله..

والخالق يغضب ممن لا يسأله !!...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يدع الله سبحانه غضب عليه».[1]

لا تسألن بني آدم حاجة — وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله — وبني آدم حين يسأل يغضب!

كما قال بعض السلف: «اللهم كما حسنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسألة لغيرك» فلا يصح الذل والافتقار إلا إلى العزيز الجبار.

يقول الإمام الشافعي:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه — وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لاتخطي ولكن — لها أمد وللأمد إنقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي — ويرسلها إذا نفذ القضاء

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم بإسناد جيد .

فضل الدعاء

لذا:

من العجز والهوان أن يأتي العبد من يغلق بابه، ويذر من يفتح كل أبوابه، وبيده خزائن السماوات والأرض، روى البخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا عن النبي ﷺ مرفوعا قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام». (١)



قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ النحل: ٩٦ وفي الحديث القدسي: «يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم،...» إلى قوله: «يا عبادي لو أن أولكم ، وآخركم، وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» ، كما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه،

ففيه دلالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وكمال ملكه وخزائنه التي لا تنقص بالعطاء .

(١) الادب المفرد (رقم: ١٠٤٢) وصحيح ابن حبان (رقم: ٤٤٩٨)

الدعاء مفتاح كل خير

والدعاء مفتاح كل خير، كما قال ابن القيم: «.. فمتى أعطى الله العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله بقي باب الخير مرتجاً دونه». (١)

ولا ريب، فأنى يستجاب لمن أدمن الضلال والظلام واستكبر عن عبادة الواحد القهار..؟ ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ الفرقان: ٧٧ وربنا جل وعلا يحب أن يعرفه العبد ويتقيه وأن يعلم أنه يغفر الخطايا ويقيل العثرات ويغيث الملهوف، ويعفو عن السيئات ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وأنه أقرب إليه من حبل الوريد..

روي أن أعرابياً قال: (يا رسول الله، أقريبٌ ربنا فنناجيه، أم بعيدٌ فنناديه؟) فسكت النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: ١٨٦. (٢)

(١) الفوائد لابن القيم / ص: ١٢٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

وعن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفاً، ولا نعلو شرفاً، ولا نهبط وادياً، إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير..

قال: فدنا منا فقال: «أيها الناس أربعوا - أي: أرفقوا بها - فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائبا إنما تدعون سميعا بصيرا، إن الذين تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبدالله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي رواية: «أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لاتدعون أصماً ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميع قريب». (١)



فهو السميع البصير العليم بكوامن النفوس وما تخفي الصدور.

(١) صحيح البخاري (رقم: ٢٩٩٢) وصحيح مسلم (رقم: ٢٧٠٤)

سورة المجادلة

وجاءت سورة (المجادلة) لترسخ هذه الحقيقة ناصعة كفلق الصبح بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)﴾ المجادلة.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة (خولة بنت ثعلبة) فكلمت رسول الله ﷺ وأنا في جانب البيت أسمع كلامها ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: (يارسول الله، أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك)، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات. [(١)]

قال الزمخشري: ومعنى سماعه تعالى لقولها إجابة دعائها، لا مجرد علمه تعالى بذلك، وهو كقول المصلي: سمع الله لمن حمده. [(٢)]

(١) أخرجه البخاري وابن ماجه والبيهقي.

(٢) تفسير الكشاف ٤ / ١٥٠ .

العزم في المسألة

ولا بد للمسلم أن يعزم بالمسألة بلا تردد ولا تذبذب، بل ثقة ويقين برحمة الله وقدرة الله، وقد ورد في حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له ».



وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء».

كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:«يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سَحَّاءُ الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغضْ ما في يمينه».

مواطن إجابة الدعاء

وللدعاء مواطن ومواقيت حري وقمين أن يُستجاب فيها للعبد، كالدعاء أثناء السجود، وجوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاكثروا الدعاء» . رواه مسلم .
وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.



كما قال أبوبكر الطرطوسي في كتابه «الدعاء المأثور وآدابه»: «... ليس بفقيه من كانت له إلى الله حاجة ثم نام عنها في الأسحار» ذلك أن في الليل ساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأل الله تعالى خيراً من أمرِ الدنيا والآخرة إلاَّ أعطاه إياه، وذلك كل ليلةٍ كما في حديث مسلم.

التفاضل بين العبادات

وقد أفرد العلماء أبواباً في بيان فضل الدعاء وعظيم قدره وكرمه عند الله ورفيع مكانته إلا أنهم جعلوا جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء، وقراءة القرآن أفضل من الذكر. [١]

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله ضابطاً دقيقاً للتفاضل بين العبادات بحسب أجناسها وأوقاتها واختلاف أمكنتها واختلاف القدرة على القيام بها ونحو ذلك.

قال رحمه الله:

(إن الأفضل أن يتنوع: تارة بحسب أجناس العبادات، كما أن جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة، وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر وجنس الذكر أفضل من جنس الدعاء).

وتارة باختلاف عمل الإنسان الظاهر، كما أن الذكر والدعاء في الركوع والسجود هو المشروع دون القراءة، وكذلك الذكر والدعاء في الطواف مشروع بالاتفاق، وأما القراءة في الطواف ففيها نزاع معروف.

وتارة يختلف باختلاف الأوقات كما أن القراءة والذكر والدعاء بعد الفجر والعصر هو المشروع دون الصلاة.

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد لابن سعدي. ص: ٤٦

وتــارة بــاختــلاف الأمـكـنــة كما أن المشروع في عرفة ومزدلفة وعند الجمار وعند الصفا والمروة هو الذكر والدعاء دون الصلاة ونحوها، والطواف بالبيت للوارد أفـضـل مـن الـصـلاة، والـصـلاة للمقيمين بمكة أفضل.

وتارة باختلاف مرتبة جنس العبادة، فالجهاد للرجال أفضل من الحج، وأما النساء فجهادهن الحج، والمرأة المتزوجة طاعتها لزوجها أفضل من طاعتها لأبويها بخلاف الأيِّمة فإنها مأمورة بطاعة أبويها... وبهذا يتبين أن من الناس من يكون تطوعه بالعلم أفضل له، ومنهم من يكون تطوعه بالجهاد أفضل... وهكذا.[١]



---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٢٧ ـ ٤٢٩)

جوامع الدعاء

وكان المصطفى ﷺ ينتقي في دعائه أطايب وجوامع الكلم، فعن عائشة رض الله عنها أن رسول الله ﷺ كان (يستحب الجوامع من الدعاء).(١)

ومن تمعن في دعاء (سيد الاستغفار) أدرك المغزى.. فهو مثال على الإيجاز البليغ لما اشتمله من غاية المطالب العالية وكمال المقاصد النبيلة..

يقول المصطفى ﷺ: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».(٢)

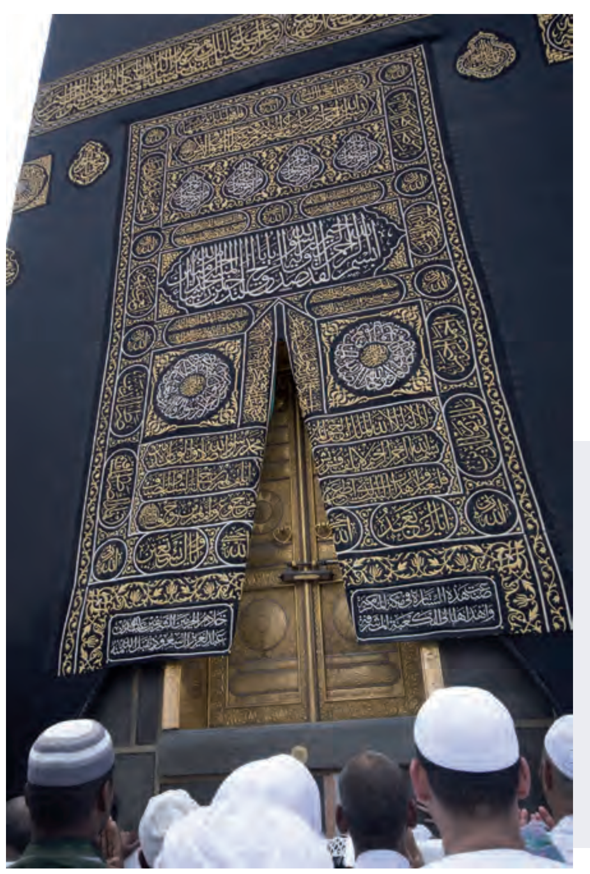
وقد ورد أن من قال هذا الدعاء بالنهار موقنا به فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قاله من الليل وهو موقن به، فمات من يومه قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة.

(١) رواه أبو داود بإسناد جيد .

(٢) رواه البخاري.

فضل الدعاء

تقول أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها: «كان النبي ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء، ويدع ما بين ذلك».[١]



وعن شهر أبي حوشب قال: قلت لأم سلمة رضي اللّه عنها: يا أم المؤمنين، ما أكثر دعاء رسول اللّه ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك».[٢]

وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: كان من دعاء رسول اللّه : «اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار».[٣]

(١) رواه أبو داود في سننه والأمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الحاكم وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

وروى الفريابي وغيره في حديث عائشة أيضاً أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة عليك بجوامع الدعاء: «اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه محمد عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ به من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك ما قضيت لي من قضاء أن تجعل عاقبته رشداً».. (١)

فقد روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن الكريم يقول: «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»، والأحاديث في هذا الباب عديدة.

ومن هذه الأدعية ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (٢)، وكان يكثر في دعائه من قوله: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (٣).

---

(١) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢ / ٥٣٣ .

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

البساطة وعدم التكلف

إلا أنه ﷺ لم يحمل الناس على التكلّف والالتزام بصيغ محددة في الدعاء، فالعبرة بصدق المشاعر لا ببلاغة الخواطر.. وأفضل الدعاء ما تواطأ عليه القلب واللسان.

فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ لرجل: «ما تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثم أسال اللّه الجنة، وأعوذ به من النار، أما واللّه ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ.
فقال النبي ﷺ: «حولها ندندن»!. (١)

هكذا بكل عفوية وبساطة ووضوح. فماذا يريد المسلم سوى دخول الجنان والبعد عن النيران؟

لقد اختصر الأعرابي المسافة ولم يعبأ كثيراً بنظم الكلام وفصاحة البيان.. وأقره النبي ﷺ على ذلك بأسلوب طريف لايخلو من المداعبة!.
وآخر يرفع يديه إلى السماء ويقول: «اللهم إنك أعطيتنا الإسلام من غير أن نسألك، فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك»

وصدق الدعاء وحرارته وقوته تتجلى في إلحاح العبد كما يلح الطفل على أمه وهو يبكي بشدة فتتنزل عليه الرحمة.. وكما قيل: «من لازم قرع الباب أوشك أن يلج».

---

(١) رواه ابن ماجه رقم: ٩١٠ - واسناده صحيح.

فضل الدعاء بظهر الغيب

قال اللّه تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)﴾ الحشر: ١٠ وقال تعالي : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ محمد: ١٩

- وعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه أنه سمع رسول اللّه ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل»[١].
- وعنه أن رسول اللّه ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة: عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»[٢].
- ففي تلك النصوص استحباب أن يدعو المسلم لنفسه ولأخيه المسلم لتستجاب دعوته ويحصل له مثلها. فإذا دعا لأخيه في غيبته قال الملك: (ولك مثل ما دعوت له).

(١، ٢) رواه مسلم.

إخفاء الدعاء

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾ الأعراف: ٥٥ تضمنت الآية الكريمة أدب عظيم من آداب الدعاء، ألا وهو إخفاؤه وإسراره وعدم الجهر به، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الأعراف: ٢٠٥ قال ابن جريج رحمه الله: «يكره رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة». (١)

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فوائد عديدة من إخفاء الدعاء منها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبّه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته. وقد أثنى جل وعلا على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)﴾ (مريم).

فلما استحضر القلب قرب الله عزوجل، وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه.

(١) تفسير الطبري ٥/٥١٥ .

التحذير من الإعتداء في الدعاء

ينبغي على المسلم تجنب التكلف في الدعاء، وقد ورد نهى وتحذير من التجاوز في الدعاء والاعتداء فيه كما قال تعالى: قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾ الأعراف: ٥٥ ومعنى الاعتداء : (تجاوز ما ينبغي أن يقتصر عليه).

وقد جمعت الآية الكريمة بين أمر بالدعاء ونهي عن الاعتداء فيه وأن الرب تبارك وتعالى لايحب المعتدين، قال قتادة في معنى الآية: «اعلموا أن في بعض الدعاء اعتداء فاجتنبوا العدوان والاعتداء إن استطعتم».

كما قال عبد الله بن عباس: (انظر السجع من الدعاء فاجتنبه.. فإني عهدت رسول الله ﷺ أصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب).(١)

وروى الأمام أحمد، وأبو داود وابن ماجه، وغيرهم عن عبدالله بن مغفل أنه سمع ابنه يقول: «اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها». فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوّذ بالله من النار، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور».

وعن ابن جريج في معنى الآية قال: «إن من الدعاء اعتداء، يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة».

ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ربه ما علم من حكمته سبحانه أنه لايفعله، كأن يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله إطلاعه على الغيب أو أن يجعله من المعصومين، أو أن يهب له ولدا من غير زوجه ونحو ذلك.

(١) البخاري ١٥٣/٧ .

أدب الأنبياء عليهم السلام في الدعاء

من تدبر وتأمل قصص الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام مع الدعاء وجد أدباً جماً وخلقاً رفيعاً في المناجاة، كما جاء في سورة (الأنبياء) فقد اختلف السؤال من نبي لآخر، وتوحد الجواب بكلمتين: «فاستجبنا له».

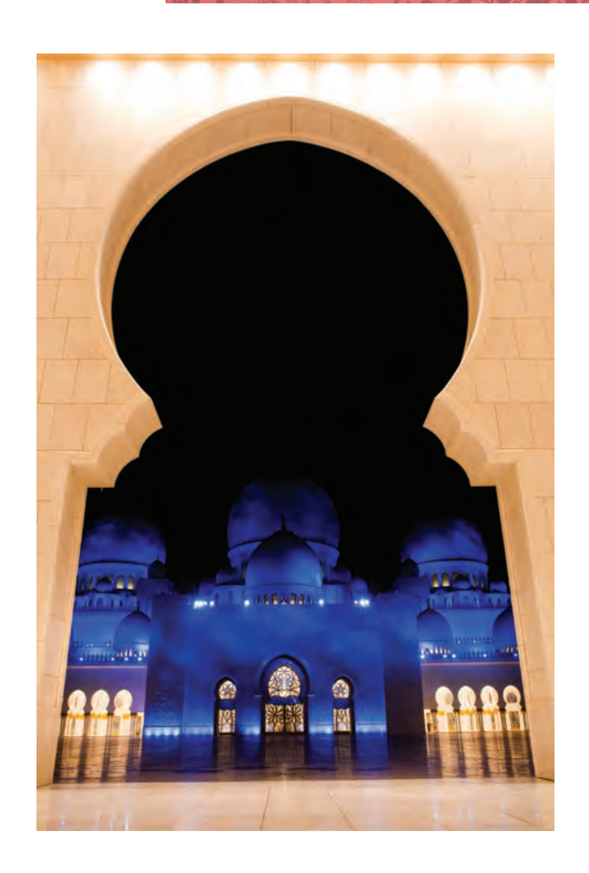
فهذا أيوب ـ عليه السلام ـ يكابد الأسقام والحمى سنوات طوال حتى مل الصبر من صبره، عندها نادى خالقه باستحياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ الأنبياء: ٨٣ - ٨٤



قال الأمام ابن القيم: «جمع أيوب عليه السلام في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره. ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها، ولاسيما مع هذه المعرفة، كشف الله ضرّه». (١)

(١) الفوائد ص: ٢٨٤ .

فضل الدعاء



وهذا زكريا عليه السلام ينادي ربه نداءاً خفياً: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ الأنبياء: ٨٩ - ٩٠ وكيف لا يستجاب لمن هذه صفاتهم وتلك سجاياهم؟

وقال ابن القيم رحمه الله تعليقا على ذلك: «فمن أراد الله به خيرا، فتح له باب الذلّ والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى، ورؤية عيوب نفسه، وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه، وإحسانه، ورحمته، وجوده وبره، وغناه، وحمده». (١)

ويقدم لنا النص القرآني نموذجا آخر هو نوح عليه السلام الذي لجأ للدعاء بعد أن مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً: وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ❖ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾الأنبياء: ٧٦ ...

---

(٢) صحيح الوابل الصيب ص ١٦ .

فيسخر الله له الأرض والسماء فيلتقي الماء على أمر قد قدر ويفور التنور وتجري السفينة بين أمواج كالجبال.. ثم يأتي الأمر من السماء حازما جازما: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود: ٤٤ وتعود الحياة صافية نقية كما كانت بعد أن تتخلص من أدران الشرك.

وفي السورة ذاتها يروى السياق قصة يونس عليه السلام الذي ذهب عن قومه مغاضباً إثر صدهم وإعراضهم، فظن أن لن يقدر عليه وركب البحر: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧ فهوى الرد كالبرق الخاطف: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾الأنبياء: ٨٨



ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ...
فهي نعمة تعم المؤمنين وليست حكراً على المرسلين.

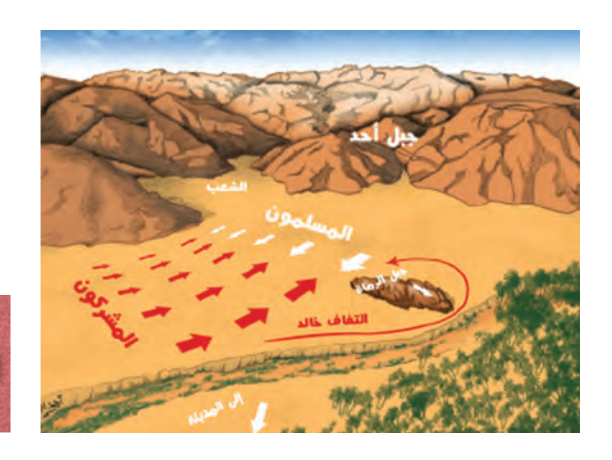
سيد المرسلين ﷺ يستعذب الدعاء في كل أحواله

إذا كان هذا شأن الرسل مع الدعاء، فكيف بخاتمهم وسيدهم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؟.. لقد حوت سيرته العطرة نماذج وأمثلة رائعة في الابتهال إلى المولى جل وعلا في أوقات الشدة والرخاء.. وإليك بعض منها:

1 غزوة (بدر) الكبرى:

حين نظر ﷺ إلى قريش تتقدم إلى (بدر) وبصحبتها القينات يغنين بهجاء المسلمين قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني به»..

وقبل أن تنشب الحرب رجع عليه السلام إلى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر الصديق وحارسه سعد بن معاذ واقفاً على باب العريش متوشحا سيفه فرفع ﷺ يديه إلى السماء كما جاء في صحيح البخاري وقال: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فقال له أبو بكر: (حسبك، فإن الله سينجز لك وعده)... فخرج عليه الصلاة والسلام وقد أشرق وجهه وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.



وفي رواية: أن النبي ﷺ استقبل القبلة ومدّ يديه يدعو: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلن تعبد في الأرض»، فما زال كذلك حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: «يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك».. فنزل قوله تعالى: ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ - أي:متتابعين.

2 غزوة الخندق (الأحزاب):

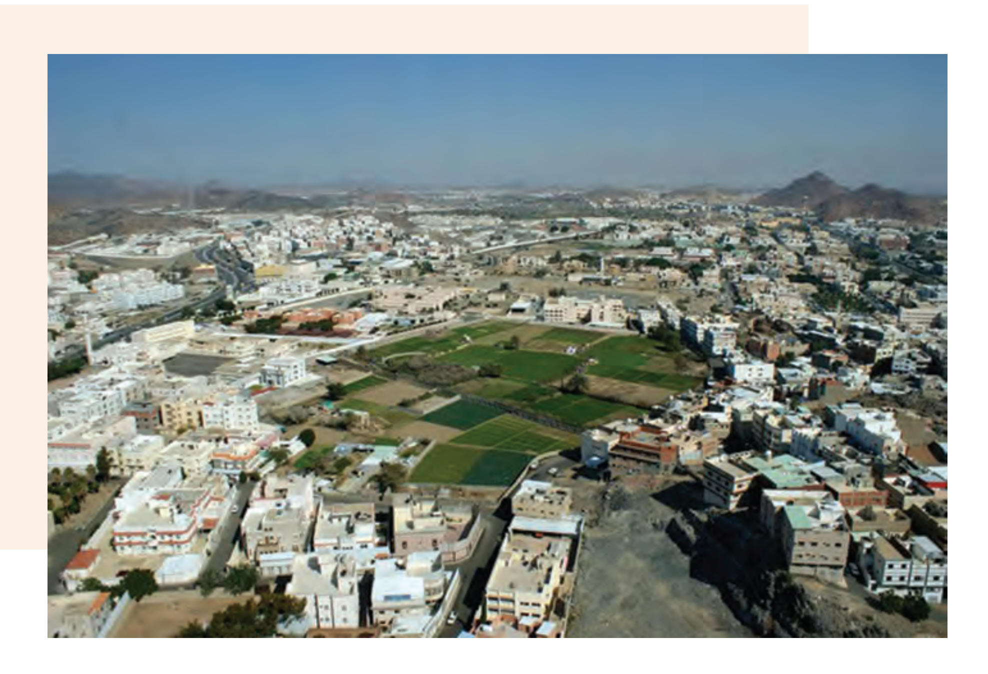
وتكرر مشهد دعاءه ﷺ في غزوة الخندق (الأحزاب) التي زاغت فيها الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزل المسلمون زلزالاً شديداً.. حين تجمعت أحزاب الكفر من قريش وغطفان في السنة الخامسة من الهجرة لاستئصال المسلمين وشن حرب إبادة جماعية ضدهم، وتناوب على أصحاب رسول الله البرد والجوع والخوف.. وانتهز يهود بني قريظة الفرصة لنقض العهد مع المسلمين وانضموا للأحزاب.

عندها رفع المصطفى ﷺ أكف الضراعة إلى البارئ عز وجل يسأله العون والمدد وأرسل نداء استغاثة عاجلة إلى جبّار السماوات والأرض فكان من دعائه: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم».. فاستجاب الله له، وأرسل إلى أعدائه ريحاً باردة في ليلة مظلمة حالكة السواد...

كما قال تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ❖ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ الأحزاب: ٢٥ - ٢٦

3 هجرته صلى الله عليه وسلم إلى الطائف:

وقدم لنا الصادق عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم درساً يحتذى في الاستكانة والتذلل بين يدي الرحمن لما هاجر إلى الطائف يلتمس النصرة فرد عليه سادتها رداً قبيحاً منكرا ولم ير منهم خيراً...



ثم أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقتفون أثره ويرمونه بالحجارة فأدموا عقبه الشريف حتى انتهى ﷺ إلى شجرة كرم واستظل بها... ثم توجه إلى ربه وخالقه، فدعا بكلمات تتصدع لها القلوب شفقة وحسرة: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى مَنْ تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهّمني أمْ إلى عدوٍ ملكّته أمري؟ إنْ لم يكنْ بِك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ولكنَّ عافيتك هيَ أوسع لي، أعوذُ بِنُور وجهكَ الذي أشرقت له الظلمات وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلاّ بك».

إنها مدرسة النبوة تلقن أمة الإسلام دروساً عملية في بث الشكوى فالدعاء يظهر الرضا التام بقضاء الله وقدره بلا سخط ولا ضجر.

بل إن حلمه ورأفته جعلته يدعو لكفار مكة لا عليهم: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»... فلم يحقد عليهم ولم يثأر منهم حين عرض عليه جبريل عليه السلام أن يطبق عليهم الأخشبين..

وأعجب من هذا موقفه ﷺ منهم بعد سنوات من هذه الحادثة وذلك بعد انتهاء غزوة (حنين) لما جاءه بعض فتيان المسلمين مغضبين من ثقيف وهوازن وسألوه أن يدعو عليهم بالهلاك قبل أن ينصرف من أرض المعركة، فدعا مرة أخرى لهم لا عليهم: «اللهم اهد ثقيف وائت بهم» ـ أي مسلمين ـ رغم الحرب الطاحنة التي دارت بينهم!.



شروط وآداب الدعاء

واعلم أخي المسلم أن للدعاء شروطاً مفروضة وآداباً مشروعة من لزمها ظفر بالعطايا والهدايا الربانية ونالها ولو بعد حين، ومن هذه الآداب:

1 الإخلاص:



قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ البينة: ٥ . فلا يسأل إلا الله وحده، إذ أن الدعاء عبادة وحق خالص لله تعالى لايجوز أن يشرك معه غيره، فهو سبحانه المتفرد بالإجابة وكشف الكروب وبيده الخير كله فلا معقب لحكمه ولاراد لقضائه الذي ماتعلق به فقير إلا أغناه، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا نصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه... لامانع لما أعطى، ولامعطي لما منع، لا إله إلا هو الملك الحق المبين.

2 التوبة:

أن يقدم العبد بين يدي دعائه توبة نصوح يستغفر بها من ذنوبه وخطاياه، وأن يقر بالذنب، ويعترف بالتقصير والندم على التفريط، فإن تراكم الذنوب واجتماع الخطايا سبب من أسباب عدم الإجابة، كما قال بعض السلف: (لاتستبطئ الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي).

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: «لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ نوح: ١٠ - ١١ . [١]

3 الثناء على الله:

أن يبدأ المسلم بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة على النبي ﷺ ويختم بذلك. كأن يقول: سبحان الملك الذي لاشريك له والفرد الذي لاند له، كل شئ هالك إلا وجهه، لن يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، أقرب شهيد، وأجل حفيظ، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار ونسخ الآجال، القلوب له مفضية والسر عنده علانية، عنت الوجوه لنوره وعجزت العقول عن كنهه، أشرقت لنور وجهه الظلمات، واستنارت له السماوات والأرض.

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٩٨).

الحمـد لله عـدد خلقه ورضا نفسه وزنـة عرشه ومداد كلماته.. اللهم لك الحمد كما تحب وترضى، حمدا لاينقطع أوله ولا ينفد آخـره، حمدا يليق بـجـلال وجـهـك وعظيم سـلـطـانـك، الحـمـد لله الـواحـد القـهـار العزيز الغفار اللطيف الخبير السميع المجيب، لك اللهم الحمد عدد أوراق الشجر وقـطـر المـطـر ونجـوم السماء.. اللهم لك الحمد كله وبيدك الخير كله، وإلـيـك يـرجع الأمـر كله علانيته وسره..



ولـو أنما في الأرض من شجرة أقـلام، والبحر يمـده من بعده سبعة أبحر ما حمدنا الله حق حمده، وما عبدناه حق عبادته. ويجتهد العبد في انتقاء ما يعبر عن هذه المعاني التي تطوف بالحمد وتسعى بالثناء على ملك الملوك سبحانه وتعالى.



استقبال القبلة:

أن يستقبل القبلة ويرفع يديه عند الدعاء.

5 الإلحاح:

فيكثر من سؤاله دون سآمة أو ملل ويلح بالدعاء.. ويكرره ثلاثا،كما روي عن عطاء أنه قال: «ما قال عبدٌ يارب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه، فذكر ذلك للحسن فقال: أما تقرؤون القرآن؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)﴾ آل عمران: ١٩١ - ١٩٥. [١] لذا فإن غالب الأدعية المذكورة في القرآن مفتتحة باسم الربّ.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .. عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : « إذا تمنى أحدكم فليكثر؛ فإنما يسأل ربه - عز وجل » . أخرجه الطبراني في الأوسط ، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٣٧)

(١) حلية الأولياء (٣/ ٣١٣).

وربما تنزلت الإجابة لأهل الكرامات والبركات من الفقراء والمساكين كما في الحديث المشهور عن النبي ﷺ: «رُب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره». (١)

كما في الحديث القدسي: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبراً، تقرب إليه ذراعاً وإن تقرب إليَ ذراعاً، تقرب منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته وإن تقرب إلىَ ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هروله»(٢) ، فقوله: «وأنا معه حين يذكرني» أي: معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، كقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ الحديد.



6 الدعاء في الشدة والرخاء:

فلا يقصر دعاءه في أوقات الشدة فقط، بل الواجب أن يدعو ربه في سرائه وضرائه، وشدته ورخائه، وصحته وسقمه، وفي أحواله كلها، وملازمته للدعاء حال الرخاء، ومواظبته عليه في حال السراء سبب عظيم لإجابة دعائه عند الشدائد والمصائب والكرب، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من سّره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء». (٣)

لهذا قال النبي ﷺ كما في حديث عبدا لله بن عباس رضي الله عنهما المشهور: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة». (٤)

---

(١) صحيح مسلم رقم (٢٦٢٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي والحاكم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وسنده حسن.

(٤) المسند (١ / ٣٠٧) (وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم: ٢٩٦١).

عبيد السوء:

أما عبيد السوء فإنهم لايعرفون ربهم إلا في الشدائد ثم لايلبثون أن يعودوا إلى غفلتهم حين يكشف الله الضر عنهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ(٨)﴾ الزمر: ٨ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١)﴾ فصلت: ٥١

7 إطابة المأكل:

فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة رض الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) ﴾ المؤمنون: ٥١ ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»؟!.

فضل الدعاء

وقد سئل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله « فقال: « ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالمٌ بها من أين مجيئها ومن أين خرجت». (١)



وفي الحديث المتقدم أربعة أسباب لقبول الدعاء:

- **الأول:** السفر،كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده».
- **الثاني:** أن يكون متواضعاً متذللاً.
- **الثالث:** مد اليدين إلى السماء، وهو من آداب الدعاء ففي سنن أبي داود وغيره عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردها صفراً خائبتين».
- **الرابع:** الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، فقد روي عن عطاء أنه قال: «ما قال عبدٌ يا رب يا رب ثلاث مرات إلا نظر الله إليه».

(١) ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٢٧٥) .

8 أن يتضرع بخشوع وخضوع وحضور قلب وعدم انشغال فكر

فيصدر الدعاء من القلب لا من اللسان ويتصل الفؤاد بخالقه في تضرع وخشوع وخضوع، وجزم ويقين بالإجابة.

وقد عدّ العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (الجواب الكافي) غفلة القلب وعدم حضوره مانعا من موانع إجابة الدعاء، و قال: «وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة، وهي/ الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، و آخر ساعة بعد العصر، وصادف خشوعا في القلب وانكساراً وذلاً بين يدي الربّ، وتضرعا ورقة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألّح عليه في المسألة، وتملقّه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لايكاد يرد أبدا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مضنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم). [١]

(١) الجواب الكافي ص: ٩ بتصرف.

وقد حذرنا المولى من الاستسلام للقنوط: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ الزمر: ٥٣ استنكر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام هذه الخصلة الذميمة: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ الحجر: ٥٦



ولنا في يعقوب عليه السلام أسوة حسنة...

فقد خطف قرة عينه حتى ابيضت عيناه كمداً وحزناً وألماً على فراق حبيبه وفلذة كبده.. ومضت أيام ومرت سنون وهو معلقٌ بأستار الرجاء لا يكل و لا يمل ولا يرضخ لكل محاولات التثبيط: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)﴾ يوسف: ٨٥ فقد كان يتحين سهام الليل ليبث شكواه لخالقه ولمن أمره بين الكاف والنون.. بل أنه يدعو بنيه لعدم الاستسلام لليأس: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ(٨٧) ﴾ يوسف: ٨٧

وتحقق له ما أراد، وبدت النسائم وبشائر الفرج: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) ﴾ يوسف: ٩٤ ، وتراءت صورة يوسف لمخيلة يعقوب عليهما السلام واشتم رائحته الزكية قبل وصول القافلة... وقبل أن يحل عليه البشير... وكانت بداية النهاية للمحنة التي بدأت بقميص ممزق وانتهت بقميص منمق !!... فارتد بصيراً وتنفس الصعداء وأشرقت أسارير وجه بالنور..».

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها، فرجت وكنت أظنها لاتفرج..

فلابد من التشبث بالأمل والرجاء في الدعاء وإلا كان كما يقول ابن القيم رحمه الله: (بمنزلة من بذر بذراً، أو غرس غرساً فجعل يتعهده ويسقيه فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله).

أوقات.. وأحوال.. يستجاب فيها الدعاء

وللدعاء مواطن ومواقيت قمينٌ وحريٌ أن يستجاب للعبد فيها، كالدعاء أثناء السجود، وجوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات: فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء».(١)

ومن الأوقات التي يتحرى فيها المسلم الدعاء:

1 وقت السحر:

حين يبقى ثلث الليل الأخير، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) (الذاريات)، وقال ﷺ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». (٢)

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح البخاري (رقم / ١١٤٥) وصحيح مسلم (رقم / ٧٥٨) .



يوم الجمعة:

فهو من الأوقات الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء، كما قال ﷺ حين ذكر يوم الجمعة: «فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللّها». (١)

3 شهر رمضان:

وهو من الأزمنة الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء ، وخاصة ليلة القدر في العشر الأواخر من هذا الشهر الكريم وهي خير من ألف شهر.

4 يوم عرفة:

وفيه تستجاب الدعوات وتغفر الزلات وتكفر الخطيئات، ومن الأوقات كذلك ما بين الأذان والإقامة كما قال ﷺ: «الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة فادعوا». (٢)

(١) صحيح البخاري (رقم / ٩٣٥) وصحيح مسلم (رقم / ٨٥٢).

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.

5 أدبار الصلوات المكتوبة:

ومن هذه الأوقات: أدبار الصلوات المكتوبة كما في حديث أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يارسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات». (١)

ومن الأحوال التي تستجاب فيها الدعوات:



الصيام.. والسفر.. والظلم.. ودعوة الوالد على ولده، فقد ثبت أن هناك أحوال تجاب فيها الدعوات، ومنها: الصائم حتى يفطر، والمسافر، ودعوة الوالد لولده أو عليه، ودعوة المظلوم.

ففي السنن الكبرى للبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا: «ثلاث دعوات لاترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر».

(١) سنن الترمذي (رقم: ٣٤٩٩) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

هل يجاب كل دعاء؟

يقول الفاروق رضي الله عنه: (إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن هَمَّ الدعاء،فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه).

وقد ثبت في أحاديث كثيرة أن الله تبارك وتعالى يعطي السائلين ويجيب الداعين ولا يخيب رجاء المؤمنين، فهو سبحانه حيي كريم كما روى أبو داود، والترمذي، وغيرهم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا» ، أي: خالية». (١)

وقد أشكل على بعض العباد ممن دعوا وبالغوا ولم يجابوا، وذكر الحافظ ابن حجر تعليقا مفيدا على ذلك فقال: « إن الإجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمةٍ، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها». (٢)

وورد في هذا المعني أحاديث عديدة منها ما رواه الترمذي والحاكم من حديث عباده بن الصامت رضي الله عنه رفعه: «ما على الأرض مسلمُ يدعو بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف. عنه من السوء مثلها». (٣)

(١) سنن أبي داود رقم: (١٤٨٨) . وسنن الترمذي رقم: (٣٥٥٦) . وصحيح ابن حبان رقم: (٨٧٦)

(٢) فتح الباري: (١١/ ٣٤٥)

(٣) سنن الترمذي: (٣٥٧٣).

فضل الدعاء

يقول الإمام ابن القيم: «أساس كل خير أن تعلم أن ماشاء اللّٰه كان وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك، وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق اللّٰه للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك اللّٰه إلى نفسك.



وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد اللّٰه لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطي العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجا دونه..».[1]

(١) الفوائد لابن القيم ص: (١٢٧ . ١٢٨)

الدعاء بالخير

فقد يدعو المرء في لحظة غضب أو ضجر على نفسه أو ولده أو ماله بما لا يسره تحققه أو حصوله، وهذا ناشئ عن تسرّع الإنسان وعجلته وعدم نظره في عواقب الأمور كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾ الإسراء: ١١ يقول ابن كثير رحمه في تفسير هذه الآية:

«يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشرّ، أي بالموت أو الهلاك أو الدمار أو اللعنة أو نحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١)﴾ يونس: ١١ ومن رحمة اللّه بعباده أنه لا يستجيب لهم في دعائهم بالشر حال غضبهم وضجرهم كاستجابته لهم في دعائهم بالخير، رحمة منه وإحسانا، فينبغي الحذر كل الحذر من الدعاء على النفس أو المال أو الولد باللعنة أو العذاب أو النار»

وينبغي إدامة الدعاء والإكثار منه وعدم استبطاء الإجابة، فقد تكفّل بها الرب جل وعلا ولو بعد حين.

فضل الدعاء

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل»، قيل يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر (أي: يتعب من الاستعجال) (١).



وهذا من لطف الله وكرمه بخلقه إذ لو استجاب لكل دعاء لأدى ذلك إلى مفاسد لا يعلمها إلا هو. فالعجلة تبعث على السأم والملل واليأس من رحمة الله والعياذ بالله..

(١) كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)﴾ الأنبياء: ١٩ أي: لا يتعبون ولا يملون (تفسير ابن كثير).



ختاماً

وبعد، فهذا اجتهاد المقل، لا يخلو من النقص والخلل، كما قال العماد الأصفهاني:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو كان غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان أفضل، ولوترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر..».

نسأل الله أن يتقبل هذا العمل، وأن لا يحرمنا أجره وأن تكون القصص للعبرة لا للتسلية كما قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف: ١١١

وأن تكون للتفكر والتدبر، كما قال تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

علها تكون عبرة لأولي الألباب،... وندعو كل من قرأ هذا الكتاب أن لايحرمنا من الدعاء.

المؤلف

المراجع

١. كتاب (فقه الأدعية والأذكار) لعبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر.

٢. كتاب (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين) للامام الحافظ أبي زكريا محي الدين يحيى النووي.

٣. كتاب (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين) لسليم بن عيد الهلالي.

٤. كتاب (لايرد القضاء إلا الدعاء) لمحمد سلامة جبر.

٥ . كتاب « لا تحزن » للدكتور عائض القرني.

الفهرس

الفصل الأول : قصص من عجائب الدعاء

الموضوع	رقم الصفحة
القصة ١: ابني والأسد وجهاً لوجه	10
القصة ٢ : وعنده مفاتح الغيب...	14
القصة ٣: ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد	20
القصة ٤: التنقيب عن المفتاح وسط الرمال.	24
القصة ٥: الدعاء ينقذ الكويت من صواريخ صدام	26
القصة ٦: وجعل على بصره غشاوة	30
القصة ٧: اتقوا دعوة المظلوم	34
القصة ٨: ما الحل مع هذا الباص؟	42
القصة ٩: مسافرون يفتتحون كراجاً جديداً	46
القصة ١٠: سيارة سبورت تتعرض لوابل من الدعاء...	50
القصة ١١: ملك الموت يستقبل المولودة..	54

الفهرس

القصة ١٢: في ضيافة أمير.	60
القصة ١٣: كرسي متحرك ممنوع من الحركة	66
القصة ١٤: شلل الطب عن معالجة الشلل.	72
القصة ١٥: دعاء الزوجين بين مصر والسعودية..	82
القصة ١٦: ومن أين آتي باللحم؟.	86
القصة ١٧: ولكرة القدم نصيب من الدعاء.	90
القصة ١٨: معسر سعودي يساعد معسر كويتي..	92
القصة ١٩: حصلت على بيت. مجاناً!..	98
القصة ٢٠: ما أحلى هذه المكالمة..	108
القصة ٢١: مكافأة تنتظرني في المطار	114
القصة ٢٢: خبز للشيخ حسن طنون	118
القصة ٢٣: واستمع لدعائنا في وسط الضياع	122
القصة ٢٤: كسبت ٢٥ ألفاً	126
القصة ٢٥: تزوجت صينية	130
القصة ٢٦: قصص واقعية من الأولين	132

الفهرس

الفصل الثاني : فضل الدعاء

	الموضوع	رقم الصفحة
١	مقدمة	138
٢	غضب المخلوق وغضب الخالق	140
٣	الدعاء مفتاح كل خير	142
٤	سورة المجادلة	144
٥	العزم في المسألة	145
٦	موطن إجابة الدعاء	146
٧	التفاضل بين العبادات	147
٨	جوامع الدعاء	149
٩	البساطة وعدم التكلف	152
١٠	فضل الدعاء بظهر الغيب	153
١١	إخفاء الدعاء	154

الفهرس

٩	التحذير من الاعتداء في الدعاء	155
١٠	أدب الأنبياء عليهم السلام في الدعاء	156
١١	سيد المرسلين ﷺ يستعذب الدعاء في كل أحواله	159
١٢	غزوة بدر الكبرى	159
١٣	غزوة الخندق	160
١٤	هجرته ﷺ إلى الطائف	161
١٥	شروط وآداب الدعاء	163
١٦	أوقات.. وأحوال.. يستجاب فيها الدعاء	173
١٥	هل يجاب كل دعاء؟	176
١٥	الدعاء بالخير	178
١٥	ختاماً	180
١٥	المراجع	181
١٥	الفهرس	182

تم بحمد الله